الرياض والقصيم وحائل

كانت المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية (نجد) عامرة بالسكان الذين يتركزون في مناطق حضرية محددة منذ أمد بعيد. وتشمل هذه المناطق المدن والبلدات والقرى ذات التاريخ العريق الممتد إلى ما قبل البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، مثل مدينة حَجْر اليمامة (الرياض الحالية) والخِضْرِمَة، وبلدات مثل أضاخ وسميراء والأجفر وبقعاء، وقرى مثل أثيفية (أثيثية) وتمرة (تمير) وثرمداء وقرماء (ضرما) وعقرباء ولغاط (الغاط) ومرأة (مرات) وملهم ومنفوحة وموقق ونفء (نفي).

هذه المدن والبلدات والقرى، وغيرها كثير، ظلت حية منذ ذلك الوقت حتى الزمن الحاضر. كما ظهر بعدها عدد من المدن والبلدات والقرى، كالخرج واليمامة والسلمية والهياثم والدلم وغيرها على مقربة من مدينة الرياض، وشقراء وأشيقر في الوشم، والمجمعة والروضة والحوطة والداخلة في سدير، وحريملاء في الشعيب وثادق في المحمل، وفي منطقة القصيم ظهرت بريدة وعنيزة والرس والخبراء والبكيرية والشماسية، وفي منطقة حائل عدد من المدن مثل حائل وقفار والروضة والمستجدة والسليمى والغزالة والسبعان والكهفة والشملي والوسيطاء والحفينة وجفيفا، وفي حوطة بني تميم والأفلاج الحوطة والحريق والحلوة ونعام وليلى، وفي وادي الدواسر الخماسين والحنابجة والزويرا واللدام وغيرها.

وتتكون هضبة نجد من قسمين؛ هما عالية نجد ذات الصخور النارية والمتحولة، وسافلة نجد، أو اليمامة، ذات الصخور الرسوبية. ويتخلل الهضبة عدد من الانحدارات الصدعية الظاهرة، محاورها في الغالب ذات اتجاه من الشمال الغربي

إلى الجنوب الشرقي. وفي أقصى الشرق من هضبة نجد صحراء الدهناء، وهي معلم جغرافي بارز، تمتد على هيئة قوس كبير فتحته جهة الغرب، وطوله ١٣٠٠كم، يصل ما بين رمال الربع الخالي في الجنوب، والنفود الكبير في المنطقة الشمالية. ولا يزيد عرض الدهناء على ٢٠-٣٠كم.

أما مناخ نجد فهو بصفة عامة حار جاف صيفاً، إذ تصل درجة الحرارة في فصل الصيف (في شهري يوليو وأغسطس) إلى ٤٥° مئوية، أما المناخ في فصل الشتاء فهو معتدل إلى بارد، إذ تصل درجة الحرارة في بعض السنوات إلى درجة الصفر في شهري ديسمبر ويناير، أو أقل من الصفر أحياناً في المناطق الشمالية. وتهطل الأمطار على المنطقة الوسطى في نصف السنة الشتوي (في الفترة من ديسمبر إلى أبريل)، وتتفاوت كميات المطر من عام إلى آخر، فهي ما بين ٤٠ملم إلى ٢٠٠ملم في بعض المواسم.

وكانت نجد حتى القرن العشرين منطقة معزولة جغرافياً؛ إذ تحيط بها الصحاري من الشرق والشمال والجنوب، ومن الغرب تفصلها عن الحجاز أراض تغطيها الصخور البركانية والحرّات. وقد أسهمت هذه الموانع الطبيعية في حماية المنطقة من الغزاة، لكنها أيضاً قللت من اتصال المنطقة بالعالم الخارجي المحيط بها حتى أواسط القرن العشرين؛ إذ أدت النهضة الحضارية التي شهدتها المملكة إلى ربط كل أجزاء المملكة بعضها ببعض، وربطها أيضاً بالعالم الخارجي عن طريق شبكات حديثة من وسائل المواصلات والاتصال المختلفة.

ومن المفيد هنا إعطاء نبذة تاريخية وبيئية عن نجد، ننتقل بعدها للحديث عن تطور العمارة التقليدية فيها، ثم نأتي بعد ذلك للحديث عن التراث المعماري في بعض مدنها الرئيسية. ويلي ذلك حديث عن البيت التقليدي ثم طرق البناء التقليدية.

كان اقتصاد المنطقة قبل ظهور البترول في القرن العشرين يعتمد أساساً على الزراعة والرعي. وبسبب قلة الموارد المائية، ظهرت المستوطنات فقط في البقاع التي تتوافر فيها المياه الجوفية. ومن أهم المناطق الزراعية في نجد: القصيم، وسدير، والرياض، والخرج، والأفلاج، ووادي الدواسر، وحائل. وتعد التمور والقمح المحاصيل الرئيسية في هذه المناطق. وكان جزء كبير من سكان نجد، كما هو الحال في بقية مناطق المملكة،

من البدو الـرحل الذين يرعون الإبل، وأشبـاه الرحل الـذين يرعـون الأغنام ويمارسون الزراعة البعلية (أي التي تعتمد على المطر).

وفي بـداية الـقرن العـشرين أدت صراعات الدول الاستعمارية على المنطقة إلى بسط النـفوذ البريطاني على أجـزاء من سـاحل الخليـج العربي (الإمـارات العربية والكويت وقطر والبحرين وعُمان) بينما كانت الدولة العثمانية تحكم الأحساء والقطيف والحجاز. لكن المنطقة الوسطى كانت تـستعصي علـى الطرفين بسبـب الموانع الـطبيعيـة المحيطة بهـا، وكانت القبائل تحكم نفسها وتتصارع فيما بينها إلى أن تمكن الملك عبد الـعزيز، رحمه الله، من توحيد أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية وتأسيس المملكة العربية السعودية.

وسنتحدث هنا عن العمارة التقليدية في المنطقة الوسطى مـن المملكة العربية السعودية بشيء من التفصيل. ونبدأ أولاً من تخـطيط القريـة أو المدينة واختـيار موقعها، ثم توزيعها الداخلي، ثم نتناول العناصر المعمارية، من مساجد وقصور ومنازل، ثم نحلل وندرس هذه العناصر والعوامل المؤثرة فيها. ونوردُ بعض المدن والقرى كنماذج يمكن الحديث عنها في مجال العمارة التقليدية وتطورها.

تخطيط القرى والمدن

قبل الخوض فـي تفاصيل تخـطيط القرية أو المدينة في المـنطقة الوسطى أو غيرها، لا بد من إبراز أهم أسباب اختيار موقع المدينة، وهي توافر الظروف الأمنية والاجتماعية والاقتصادية الملائمة. فمن الناحيـة الأمنية ينبـغي أن يكون الموقع محاطاً من جهتين أو ثلاث جهات بجبال تكون بمثـابة السور الخارجي للـمدينة، وتقام على هذه الجبال أبراج مراقبة تسمى القلاع، تكـون عادة مبنية من الحـجارة وبأعلاها فتحات يطل منها المراقب على جميـع الجهات، ويتنـاوب أهل المدينة لحراستها من الأعداء وذلك لأن الجزيرة العربية قبل ظهور الدولة السعودية كانت تقطنها جماعات تقوم بالهجوم على المدن والقرى في وقت الحصاد لنهب المحاصيل الزراعية، بالإضافة إلى حالة من الفوضى

مرقب الشنانة بالقصيم

مرقاب حجري يطل على جلاجل

وعدم الاستقرار والصراعات والحروب القبلية الدامية.

أما العوامل الاجتماعية لاختيار موقع القرية أو المدينة فقد كانت كل قبيلة تسكن في جزء خاص من الجزيرة العربية، فلذلك كان رؤساء القبائل قبل تأسيس المدينة ينظرون إلى الجماعات التي تسكن المنطقة فإن كانت من قبائلهم سكنوا بالقرب منها، وإلا فلا. وكانوا عند إنشاء القرى والمدن يبحثون عن موارد المياه السطحية والجوفية، لأن معظم سكان المنطقة الوسطى يعتمدون على الزراعة (الفلاحة) والرعي. وكان اختيار الموقع يتم على أساس اختيار الأرض المستوية الجيدة التربة، ذات النبات والأشجار، وأن يكون بالقرب منها وادٍ وجبال، لأن الجبال تحتفظ بالمياه الجوفية. ويستفاد أيضاً من حجارتها في البناء وطي الآبار. وبعد اختيار الموقع يحدد مكان في الوسط تحفر فيه بئر لاختبار وجود المياه الجوفية وغزارتها. فإذا وجد الماء، بصورة كافية، بُني مسجد بجوار البئر وبني سوق من عدة دكاكين، ثم تبنى المنازل. كما تُبنى غرف كبيرة تستخدم كُتَّاباً (مدرسة) لأبناء القرية يتعلمون بها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم. ويكون

معلـمهم هو إمـام المسجد الجامـع في الغالب.

وتبقى الأسباب الاقتصادية لاختيار الموقع، وتتمثل في قربه من المواد الخام التي تستخدم في البناء؛ كالطين لصناعة الـلِّبْـن وجـذوع الأشـجار (الأثـل)، والبحص، وهي الحجارة الصغيرة التي تجلب مـن مجاري السيول فـي الأودية والشعاب. ويتم بناء على تلك الأسباب مجتـمعة اختـيار موقع المـدينة، ويُبدأ بتخطيطها متأثراً غـالباً بتخطيط العمارة الإسلامـية للمـدينة وذلـك من خلال تحصيناتها وتخطيطها الداخلي؛ إذ إن أهم العناصر في تـخطيط المدينة في المنطقـة الـوسطـى هـي الأسـوار والطـرقـات والساحات.

الأسوار والحصون

كانت القرية أو المدينة تُحاط بسـور يُبْنى من عروق الطين ، لأنها أقوى طرق البناء. ويتكون سور المدينة أو القرية من جدارين، بـينهما فراغ مـملوء بالرمل، وللسـور مداخل من الجـهات الأربع، تغلق ليلاً، وتفتح في النهار . كما يُبنى في كل ركن مـن أركان السور برج أو مقصورة للمراقبة . وتحاط، غالباً، كل بوابة بـبرجين مرتفعـين، بهما مزاغـل وسقـاطات (طُرَم) وذلـك لمراقـبة من بخارج السور قـبل فتح الباب. وتُبنـى جدران الأسوار سمـيكة من الأسفل، ويقل سمكـها كلما ارتفعت. ويـتولى حراسة الأبواب رجـالٌ أشداء يتناوبون

بناء الأسوار من عروق الطين

سور قرية التويم

برج في أرض سهلية لحماية المزارع بالخرج

كل ليلة حتى الصباح. وتفتح الأبواب بعد أذان الفجر لإخراج إبل السواني ثم تغلق مرة ثانية حتى طلوع الشمس، ثم تفتح وتظل مفتوحة طوال النهار. ومن أبرز هذه الأسوار أسوار الدرعية والرياض وسدوس والقصيم.

الرياض. تقع الرياض في هضبة نجد على ارتفاع ٦٠٠م فوق مستوى سطح البحر. وسطحها من صخور رسوبية جيرية، ومن الحجر الرملي. ويتخلل المدينة بعض التلال التي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠م إلى ٣٠م عن مستوى سطح الأرض.

وكانت الرياض قديماً محطة مهمة على طرق القوافل، التي تخترق شبه الجزيرة العربية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، ومن الربع الخالي إلى صحراء النفود. وتشير المصادر التاريخية إلى أن المكان الذي تشغله الرياض حالياً شهد استيطاناً مُبكراً، وحضارات خلفت أدوات حجرية ترجع إلى الحضارة الأشولية المتوسطة والمتأخرة (العصر الحجري القديم الأعلى)، أي ما بين ٢٥٠ ألف سنة ومائة ألف سنة. وقد عُثر على بعض الأدوات الحجرية في منطقة مطار الملك خالد الدولي، شمال شرقي الرياض (أطلال ١٤٠٢: ٢٧-٣٢).

ويعود أول ذكر لاسم الرياض إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وكانت تسمى رياض زامل (زامل الجبري). والرياض مفردها روضة، وهي الحديقة أو المكان الذي تستريض فيه المياه وتنساب إليه السيول، فتكسوه الخضرة من النباتات. وعلى ذلك فالتسمية تحتمل الإشارة إلى أن الرياض تكونت من تجمع أكثر من روضة، وأنها قريبة من مصادر المياه، وأنها امتازت بكثرة النباتات والبساتين. وقد اختارها الإمام تركي بن عبدالله عاصمة للدولة السعودية عام ١٢٤٠هـ. واكتسبت الرياض مكانتها المرموقة بعد سلسلة من الأحداث التاريخية المهمة التي وقعت في القرن الهجري الماضي، حيث اختيرت عاصمة

للبلاد عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) بعد تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله.

ويرى بعض الباحثين أن مدينة الرياض قامت على أنقاض مدينة حَجْر اليمامة، ويرى الشيخ حمد الجاسر أن حَجْر اليمامة أصبحت في القرن العاشر الهجري قرى صغيرة متفرقة، هي: مقرن ومعكال والعود وغيرها، وكلها كانت قديماً من محلات حجر. وفي القرن الثاني عشر الهجري أطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حجر: معكال ومقرن والعود، وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق (الجاسر ١٣٨٦: ٨٠-٩٤).

وصفت مدينة حجر بأنها حصون وبتل (جمع بتيل، وهو بناء مربع من الطين يشبه الصومعة). ومهما يكن من أمر، فإن منفوحة، وهي أحد أحياء جنوبي مدينة الرياض، ترجع في تاريخها إلى ما قبل الإسلام بقرنين على الأقل، أي أكثر من ستة عشر قرناً على أقل تقدير، وكان يسكنها الأعشى الكبير ميمون بن قيس، الشاعر الجاهلي المشهور.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن سوراً من الطين بُني في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي حول مدينة الرياض، وكان يحيط بقراها وبساتينها وبعض القصور. وقد تعرضت الرياض في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لفترة مليئة بالقلاقل والتنافس على السلطة، حتى إن السلطة العليا بالرياض وإدارتها تغيرت ثماني مرات في الفترة من ٢/ ١٢/ ١٨٦٥م حتى ٣١/ ٣/ ١٨٧٦م، أي في أقل من ١١ سنة (الشريف د.ت: ١١٧).

وقد تأثرت المدينة بذلك سكانياً وعمرانياً، وانتهى الأمر بأن حكم آل الرشيد الرياض، فهُدم كثير من قصورها

برج مراقبة مزود بطرم

وبيوتها ثم هُدمت أسوارها، وآلت تبعية الرياض إلى إمارة حائل لمدة عشر سنوات حتى استعادها الإمام عبد العزيز يرحمه الله سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، وبدأت الرياض مرحلة جديدة من النمو والازدهار (الشريف، د.ت:١١٨).

وقد وصف مجموعة من الرحالة الأوروبيين الرياض، منهم جورج فوستر سادلير الذي يعد أول أوروبي يصل إلى الرياض ويشاهد أطلال الدرعية وبساتين نخيلها سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٨م) بعد رحيل إبراهيم باشا عنها. تحدث سادلير سنة ١٨١٩م عن منفوحة وقال إن بها بيوتاً جيدة مبنية من اللَّبْن، والأسقف مستوية السطح، وبعض البيوت مكون من طابقين. وكانت محاطة بأسوار وخندق، إلا أن إبراهيم باشا أمر بهدمها وتسويتها بالأرض. والرياض إلى الشمال من منفوحة بميل واحد، وكانت الرياض ومنفوحة محاطتين بمزارع كثيفة من النخيل، وتروى بمياه الآبار العميقة. وفي مواسم المطر تتجمع السيول وتتسبب في فيضان الوادي. ويستطرد سادلير قائلاً «إن حالة الأهالي كانت آنذاك في غاية الصعوبة، لأن الأسوار التي كانت توفر الحماية لهم ولممتلكاتهم قد سويت بالأرض، كما أن كثيراً من سكان الدرعية كانوا قد قدموا إلى الرياض وأقاموا في بساتين النخيل» (داغستاني ١٤٠٦: ٤٠-٤٢).

وبعد رحلة سادلير بأربعة وأربعين عاماً، أي سنة ١٨٦٣ (١٢٨٠هـ) وصل إلى الرياض وليم بلغريف، الذي وصف الرياض بأنها بلدة كبيرة مربعة محاطة بأسوار حصينة، وبها أبراج عالية، ويعلو بيوتها المتراصة قصر فيصل الملكي الضخم، وإلى جواره قصر أقل حجماً يسكنه الأمير عبدالله أكبر أبنائه. وتحيط بالمدينة من الجنوب والغرب، مساحات من أشجار النخيل، وتنتشر السواني (السواقي) التي يُسمع صوتها من مسافة ربع ميل. ووصف بلغريف منفوحة بأنها لا تقل من حيث الحجم عن الرياض نفسها.

وكان أصغر الأحياء إلى الشمال من المدينة، وهو أهم الأحياء الأربعة، لأن الأسرة المالكة كانت تسكن فيه. وكانت الشوارع الفرعية داخل هذا الحي ضيقة ومتعرجة. وهذا الحي شمال شارع الثميري الذي يمتد من الشرق إلى الغرب، وإلى الجنوب من هذا الشارع يمتد أكبر الأحياء وأكثرها أزدحاماً، وسكانه المزارعون والفقراء وذوو الدخل المحدود القادمون من القرى المجاورة (الشريف د.ت:١٢٢).

وبعد رحلة بلغريف بحوالي ثلاث سنوات زار لويس بلي الرياض ووصفها بقوله «بنيت على مرتفع من الأرض لا يبعد كثيراً عن وادي حنيفة. وقد بدت بلدة فسيحة وكانت بناياتها باللبن، وكانت ثمَّ أراض مزروعة في المناطق المجاورة حيث كانت زروعها تسقى من آبار يبلغ غَوْرُ مياهها ٤٧ قدماً» (بلي ١٤١١: ٧٣-٧٤).

ومن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الرياض ووصفوها جون فيلبي (سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)، الذي وصف الرياض بأنها محاطة بسور عريض ارتفاعه نحو ٢٥ قدماً، مزخرف في أطرافه العليا بحافة مسننة على هيئة أسنان سمك القرش. وبالسور أبراج عالية للمراقبة دائرية الشكل، وإن كان بعضها ذا أشكال مربعة أو مستطيلة أحياناً، وهي تبرز عن السور. ورسم فيلبي تخطيطاً عاماً للرياض (داغستاني ١٤٠٦: ٥٦).

وإذا تتبعنا التركيب العمراني لمدينة الرياض وجدنا أنها كانت قبل سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م مربعة الشكل، يقسّمها شارعا آل سويلم والثميري إلى أربعة أحياء. وفي هذه الفترة نمت المدينة صوب الشمال والغرب والجنوب، ونتيجة للتوسع تغيرت مواضع الأسوار، وبُني سور جديد للمدينة سنة ١٣١٨هـ، إلا أن هذا السور أزيل سنة ١٣٧٠هـ حينما توسعت مدينة الرياض ولم تعد بحاجة إلى أسوار تقيد نموها، فضلاً عما شهدته من استقرار وأمن.

ونتيجة لعمليتي بناء السور والبيوت الطينية، ظهرت مجموعة من الحفر اشتهرت بالحفور، وهي الأماكن التي يؤخذ منها الطين. وكانت بعض هذه الحفور داخل جدار السور الحامي. ومن أشهرها حفرة كانت شرقي المقيبرة، تُسمى حفرة أو جفرة القطعي. وكان ينصرف إليها سيل قصر الحكم والبيوت المجاورة، عن طريق ممرات في الأرض تسمى دبلات (جمع دبل). والحفرة الثانية كانت داخل السور وهي حفرة ابن دغيثر. وكان عدد الحفور الخارجية كبيراً، وكانت تمثل مجمعاً لمياه السيول، وتحيط بالسور. وقد عمقت لتكون أشبه بموانع طبيعية وذلك حماية للبلد وقت الحروب، مع وجود ممرات أرضية في مواجهة الأبواب (الدراويز) التي يتولى الحراس حمايتها.

وكانت حدائق النخيل تحيط بالحفور، مما يجعل مدينة الرياض أشبه بجزيرة عمرانية، وسط بحر أخضر من حدائق النخيل، إلا أن اتساع المدينة أدى إلى قطع النخيل. وقد بدأ قطع النخيل أولاً

من جنوبي دخـنة، وكان بعض الأفراد يكونون ما يشبه الـشركات لشراء أرض النخيل وقطعها، ثم تقـسيمها إلى قطع للـبناء. وكـانوا يسـمون ذلك العـمل بالشراكة، لاشتراك مجموعة من التجار في شراء الأرض.

وقد وصف القرعاوي الرياض منذ نصف قرن (حوالي عام ١٣٧٠هـ) فقال: كانت مدينة الرياض آنذاك مدينة صغيرة يحدها من الشرق بوابة الثمـيري وبوابة القري، ومن الـغرب بوابة الشميسـي، ومن الشمال بوابتا الـسويلم والظهيرة، ومن الجنوب منطقة المقيبرة وبوابة دخنة، وكانت مساحتها لا تزيد على١ كم٢ ... كانت جميع بيوت الرياض من الطين، والطرق الموصلة إليـها أزقة صغيرة، لا تتسع لثـلاثة أشخاص يمشون جنباً إلى جنب، كلـها أزقة ترابية على جـوانبها أبواب من خشب الأثل والنخيل.

ويعـد سور الرياض مـن العناصـر العمرانية المهـمة التي امتازت بها مدينة الريـاض. وكانت الريـاض منذ القـرن الثامن عشر المـيلادي محاطة بسور من الطين بلـغ ارتفاعه أكثر مـن ٧,٥٠م. وكان لسور الرياض أبراج دائرية للمراقبة والحـراسة، وعـدد مـن الـبوابـات أو (الدراويز)، تفتح نهاراً وتـغلق بالليل.

والسور مبني من الطين على شكل عروق ومداميك، وقد استفاد الـناس من طين سـور الريـاض، الذي يـسمـى أيضـاً (الحامي)، في بناء بـيوتهم حينما أزيل هذا السور. ويمتاز الحامي بوجود أربعة أبراج دائرية عند أركانه، وفي هذه الأبراج مزاغل (وهي فتحات صغيرة دائرية) تتيح للحـراس المراقبة، كما تُـستخدم أيضـاً لإطلاق الرصاص منها.

وفي السـور أبواب خشبـية تسمى دراويـز، صنـعت مـن خشـب الأثل والنخـيل. وقد زودت بعض الـدراويز بفتحة صغيرة تسمى خوخة أو خرقه لا تتسع إلا لمرور شخص واحد، لدواعي الأمن، إذ لا تفتح الدروازة بالليل ولكن يُكتـفى بفتـح الخوخة فقـط (الوشمي ١٤٠٦: ١٥).

وقد اختُلف في عدد البوابات التي كانت بسور الـرياض، وإن كان عددها يتراوح بين خمس وثماني بوابات، منها:

١) بوابة الثميري. وكان موقعها جهة الشرق في نهاية شارع الثميري. وتنسب إلى رجـل من أهـل حريمـلاء يسـمى الثميري، وهو أول من تولى حراستها. وكانت هذه البوابة تستقبل القوافل القادمة من الشرق (الكويت والأحساء) محملة بالأطعمة والملابس.

٢) بوابة آل سويلم. وتعرف كذلك بالشمسية، وهي جهة الشمال بين الركن الشمالي الغربي للجامع الكبير والدكاكين، وهي تنسب إلى آل سويلم، أسرة معروفة كانت تقطن جهة تلك البوابة.

٣) بوابة دخنه. تنسب إلى بئر دخنة التي كانت بجوارها، والبوابة جهة الجنوب، في الركن الجنوبي الغربي لمبنى مجمّع المحاكم الشرعية، وكانت الطريق إلى منفوحة والحائر.

٤) بوابة الشميسي. جهة الجنوب الغربي.

٥) بوابة المذبح. جهة الغرب، وتنسب إلى الجزارين الذين كانوا يذبحون الإبل والأغنام خارج المدينة وينقلونها عبر تلك البوابة إلى داخل المدينة. وكان بعض الناس يفضلون تسميتها ببوابة (مسجد ابن عيسى).

الدرعية. الدرعية شمال غربي الرياض، وقد التحم عمرانها الآن بعمران مدينة الرياض، أو كاد، نتيجة التوسع العمراني للمدينة. وللدرعية أهمية خاصة لأنها كانت العاصمة الأولى لآل سعود، حتى هُدمت سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. وبسبب خصوبة التربة على جوانب وادي حنيفة وروافده بالدرعية، اتسعت مزارعها ونما عمرانها، منذ أن اختار الأمير مقرن بن مرخان حي الطريف مقراً لأمراء آل سعود. وهذا الحي جنوب غربي الدرعية، غربي وادي حنيفة عند التقائه بوادي صفار.

ويُعتقد أن الدرعية بدأت مستوطنة في منتصف القرن التاسع الهجري، ثم شهدت نمواً كبيراً وعظم شأنها حينما قدم إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٥م) وناصره أميرها محمد بن سعود بن مقرن، الذي تعهد بحماية دعوة التوحيد والعمل على نشرها. وهكذا تم نوع من التحالف الديني السياسي، إذ عَظُمَ دور الدرعية في ظله واستقطبت هجرات كثيرة من البلدان المجاورة. وبذلك نمت الدرعية واتسع نطاقها العمراني، وظهرت أحياء جديدة نتيجة تزايد الهجرات. وكانت وفود القادمين تلقى الترحيب وحسن الضيافة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لا سيما أن معظم الوافدين أتوا إلى الدرعية طلباً للعلم والاستفادة من شيخها الذي عمت شهرته المناطق المجاورة. ونتيجة لهذا الدور الذي كانت تؤديه الدرعية نشطت حركة التعليم، ودب النشاط في أحيائها، وازدهرت اقتصاديا.

يصف صاحب كتاب أولي النهى والعرفان الدرعية فيقول:

كانت في قوة عظيمة في البناء الشامخ، ورفاهية العيش، وكثرة الرجال والأموال... فلو أنك ذهبت تعد رجالها وإقبالهم وذهابهم في كتائب الخيل والنجائب العمانيات وما يدخل على أهلها من أحمال المال والأرزاق واللباس التي لهم مع المسافرين من أهلها ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب، ولرأيت العجب العجاب، وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهامة وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم إلى غير ذلك مما يطول عده. (آل عبدالمحسن، د.ت: ٥٥).

وينقل ابن خميس عن المؤرخ الفرنسي كورانسيه قوله:

«الدرعية مدينة بناؤها من حجر، عرضها نصف فرسخ، وطولها ثلاثة أضعاف عرضها، تمتد بين حيين أحدهما إلى اليسار في الغرب وهو الطريف مقر آل سعود، والثاني إلى الشرق وهو البجيري مقر آل الشيخ. وفيها ثمانية وعشرون مسجداً، وثلاثون مدرسة، ولا توجد في الدرعية حمامات ولا مقاهٍ عامة، وفي أسواقها حوانيت من القصب يمكن نقلها من مكان إلى مكان... ويقدر عدد منازل الدرعية بألفين وخمسمائة دار مبنية بالحجارة والآجر، وليست الدرعية محصنة ولكنها في سفح سلسلة من الجبال العالية، تمتد من الشمال إلى الجنوب تدعى طويق، والناس يجتازون وادياً في جنوبها ليصلوا منه إلى مناطق نجد الغربية.

ويخترق الدرعية واد يدعى وادي حنيفة وهو جاف في الصيف، ويمتلئ في الشتاء بمياه السيول المنحدرة من الجبال المجاورة، وحول الدرعية بساتين تنمو فيها أشجار مثمرة كالبلح والمشمش والدراق، وفيها أيضاً حبحب وقمح وشعير وذرة... (١٤٠٢: ٤١٢-٤١٤).

وعرفت الدرعية بناء الأسوار منذ نهاية القرن الثاني عشر الهجري، فقد أحيطت بسورين من الأحجار الجيرية المتوافرة في المنطقة. وبلغ طول سورها ١٥كم تقريباً وكان مزوداً بأبراج على مسافات متساوية، بعضها دائري وبعضها مربع الشكل. وكان لهذه الأبراج

مهمـتان، إحداهما الحراسـة والمراقبة، والأخرى ترقب وصول القوافل التجارية، أو درء أضرار أسراب الجراد. وكان حي الطريف، مركز الدرعـية ومقر الحكم، محاطاً بسور خاص به فتحات مستطيلة للمدافع ولـلرماية والمراقبة (مزاغل) أو (مزاغير)، بالإضافة إلى الأبراج المستديرة العالية، ومنها برج فيصل الذي يطل على الوادي وعلى الجهات الشرقية والشمالية والغربية.

وكـان بالـدرعيـة مجـموعـة مـن الحصون، أكبرها حصن (الدريشة) بحي الطريف على وادي حنيفة. ومن الحصون الأخرى المـعروفـة حصـن الوسيـطا، وحصـن البركي، وحـصن سمـحان، وحصـن فلاج، وحصن المـعاتبة. أمـا الأبراج فـأهمهـا برج الفتـيقة، وبـرج سمحة، وبرج السديرية.

بقايا برج من أبراج الدرعية

البيوت التقليدية متقاربة ومبنية من اللبن بالدرعية

سدوس. تقع سدُوسْ على بعد ٦٠كم شمال غربي الرياض على طريق صلبوخ، على الحافة الشمالية لوادي الخمرة، أحد روافد وادي حنيفة. وهي في سهل خصيب عامر بالمزارع وتتخلله التلال المرتفعة. ولعل سور سدوس، الذي لا يزال قائماً حتى الآن، خير شاهد على قوة الأسوار، وهو سور مبني من الطين المخلوط بالتبن، ويحيط بسدوس.

وكانت سدوس منذ قرون من قرى اليمامة الشهيرة، وكانت تعرف بالقُرَيَّة. وهي لم تدخل في صلح خالد بن الوليد #، يوم قَتَلَ مسيلمة الكذاب. وقال ياقوت عن الحفصي «قرية بني سدوس باليمامة بها قصر بناه الجن لسليمان بن داود عليه السلام، وهو من حجر واحد. وهي أخصب قرى اليمامة.

وتعد سدوس إحدى القرى الأثرية المهمة، نظراً لما تحتويه من بيوت ذات زخارف جصية تعود إلى ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي. وربما تعد أصغر قرية متكاملة مسورة في الجزيرة العربية بأسرها.

تبلغ مساحة سدوس نحو ٦٠,٠٠٠م٢، وهي على شكل مستطيل، والبوابة الرئيسية في الجهة الشرقية من السور. وعلى امتداد البوابة يمتد الشارع الرئيسي إلى جهة الغرب،

أحد الأحياء السكنية القديمة في سدوس

ويصل عرض هذا الشارع إلى ٢,٥م، وتتفرع منه أزقة صغيرة ضيقة. وعلى جانبي كل زقاق أقيمت مجموعة من بيوت أغلبها من طابقين.

ويحيط بسدوس سور من الطين المخلوط بالقش والتبن، يصل ارتفاعه إلى ١٢م، ويصل سمكه إلى حوالي نصف متر. وقد استخدمت الأحجار في بعض أجزاء السور، كما هي الحال في البوابة الرئيسية التي يبلغ طولها مترين، وعرضها١,٥ م. وهي مصنوعة من الخشب السميك، وبها قفل خشبي (مزلاج) لإحكام غلقها. وفوق الباب طارمة أو مرقاب للمراقبة.

وفي سدوس أربعة أبراج يصل ارتفاعها إلى ٢٠م تقريباً، وهي مبنية من اللبن. وتتوزع هذه الأبراج على الجهتين الشمالية والجنوبية، وتتخذ الأبراج شكلاً مخروطياً، إذ تتسع عند القاعدة، ويقل الاتساع كلما ارتفعت إلى أعلى، وبداخلها درج يلتف بطريقة حلزونية.

القصيم. تعد مدينة بريدة -قاعدة القصيم- ثانية المدن الكبرى في المنطقة الوسطى بعد الرياض. وتبعد بريدة عن مدينة الرياض بنحو ٣٢٥كم جهة الشمال الغربي. والمدينة في منطقة هضاب تنحدر انحداراً طفيفاً إلى جهة الشرق.

وترجع نشأة مدينة بريدة إلى نهاية القرن العاشر الهجري (٩٨٥هـ). ويُقال إن تسمية بريدة ترجع إلى بئر حفرها الصحابي بريدة بن الحصيب الأسلمي #، حينما أرسله الرسول ﷺ لتفقد إبل الصدقة. ويقال أيضاً إن راشد الدريبي اشترى من آل هذال ماء لهم يعرف ببريدة وعمّره وسكنه، كما يقال إن المكان كان مجموعة من المزارع، منها مورد ماء يُسمى بريدة (الهويمل ١٤٠٨ :٢٩-٣١).

بدأت مدينة بريدة بتجمع سكاني يُمارس أفراده النشاط الزراعي. ونمت مع مرور الزمن وأقيمت حولها مجموعة من الأسوار، منها سور الدريبي الأول، وسور راشد الدريبي الذي أقيم بعد السور الأول بخمسين سنة، ثم سور حجيلان، ثم سور حسن المهنا سنة ١٣٠٧هـ، ثم سور صالح المهنا سنة ١٣٢١هـ. وكان هذا السور آخر ما أُقيم حول بريدة من الأسوار (الهويمل ١٤٠٨ :٤٣). ولا شك أن تعدد بناء الأسوار يدل على نمو المدينة والرغبة في تحقيق الأمن لها.

وتركز نمو المدينة في بدايته حول الجامع الكبير، على شكل نمط تقليدي داخل أسوار المدينة، ثم تطور هذا النمط إلى شكل طولي متتبعاً مسار الطرق المؤدية إلى كل من الرياض والمدينة المنورة. وهناك بعض

الأحياء التي لا تزال تمتاز بعمارتها التقليدية، مثل حي الجردة، وهو حي تجاري يحيط بالساحة القديمة التي كانت مقراً لسوق الإبل. وهذه المنطقة دكاكين ذات مساحات صغيرة، مبنية من الطين ومسقوفة بالجريد وخشب الأثل أو جذوع النخل، تمتاز بشوارعها الضيقة المسقوفة، ويمكن الدخول إليها من عدة شوارع. وما تزال هناك بعض الأحياء التي تحمل أسماءها القديمة، مثل حي البوطة، وقد ظهر هذا الحي في خريطة فيلبي (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م) جنوب غربي بريدة، وحي الخبيب، وهو سهل بين الكثبان الرملية كان السكان في الماضي يجلبون منه طين المباني، وحي الشقيري الذي كان مزرعة ومساكن قديمة أنشأها راشد الدريبي قبل سنة ١١٥٦هـ وبنى فيها قصره وأحاطها بسور، وحي القصر العلوي الذي يقال عنه إنه كان بناء قديماً غربي بريدة على تل من الرمل، وقد زحف إليه العمران حديثاً فأصبح من الأحياء السكنية؛ وحي الشماس وهو من أقدم نواحي القصيم عمراناً، وينسب إلى ذرية شماس بن سابق، وكان به إلى عهد قريب مرقب اشتهر بمرقب الشماس (الهويمل ١٤٠٨: ٥١-٥٧).

وقد وصف بلغريف منزل حاكم بريدة مهنا عندما زاره فيه عام ١٨٦٢ فقال:

«كان مهنا يسكن في القلعة القديمة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة وبالقرب من سورها، وكانت القلعة تغطي مساحة كبيرة لا تتناسب مع ارتفاعها. وفي الحقيقة فإنها كانت تبدو كمجموعة ضخمة من منازل متنافرة أكثر منها قصراً. وكانت أجزاء منها قديمة تعود إلى نحو أربعمائة أو خمسمائة سنة... فمواد البناء هي الشاهد الوحيد على قدم المبنى النسبي. فالبناء بالحجارة المهذبة الشكل أو غير المهذبة يدل على الفترة القديمة. يلي ذلك البناء بالحجارة والطين كما هو الحال هنا، ثم بالطين فقط كما في منطقة نجد. فهذه هي الشارة الرئيسية التي تشير إلى القرن الذي شيدت فيه هذه المباني. وتنتمي قلعة الجوف وبرج المارد إلى الفترة الأولى وهي منذ القدم وحتى بداية الهجرة النبوية، وكثير من مباني القصيم وبريدة -مثلاً- تعود إلى الفترة الثانية أي إلى مئتي عام بعد الهجرة، بينما تعود مباني الدرعية والرياض إلى الفترة الثالثة. لكن سيظهر في شرق نجد وجنوبها عناصر معمارية جديدة وأساليب بناء جديدة، وتقدم جديد

وكلها تتطلب تفسيراً خاصاً. وتعود أجزاء من قصر (مهنا) الماثل أمامنا الآن إلى تاريخ حديث لكن معظمه لم يصمم قبل البناء. فبعض الأسوار مبنية من الحجر وبعضها من الطين، وبعضها مجصص، وبعضها من غير جص. أما الجزء الرئيسي من القلعة فقوي وقادر على تحمل حصار عربي لكن ارتفاعه ليس أكثر من خمسة وثلاثين قدماً وليس له برج. فالبرج منعزل عن القلعة ويقع على مقربة من سور المدينة. وتؤدي بوابة خارجية عالية إلى داخل الفناء الأول وهو ساحة مربعة الشكل مزدحمة بالمستودعات ومساكن الجمّالة وخدم القصر. ويفضي باب صغير محكم البناء إلى مسكن الحاكم» (نصر ١٩٩٥: ٩٤-٩٥).

ومن الأمثلة كذلك مدينة عنيزة وهي المدينة الثانية في القصيم من حيث الأهمية وحجم السكان. وعنيزة جنوبي مدينة بريدة بحوالي ٣٠كم. ويُرجّح أن تسمية عُنيزة (بضم العين وفتح النون) تصغير لكلمة عنز، أي أكمة سوداء، فالتسمية إذن هي تصغير للأكمة السوداء. ويعتقد بعض سكان عنيزة أنها الأكمة الواقعة على الشارع التجاري عند مدخل سوق السدرة. وهناك أكثر من أكمة قيل إنها الأكمة التي استمدت منها المدينة اسمها، منها الأكمة التي بُني عليها مستشفى عنيزة العام، وقيل الأكمة التي تقع شرقي مسجد الضليعة على بعد نحو ٣٠٠م (السلمان ١٤١٠: ١٣-١٤). ويصل متوسط ارتفاع عنيزة إلى نحو ٦٦٠م فوق مستوى سطح البحر، ويمر وادي الرُّمة شمالي عنيزة، وجنوبها رمال نفود الشقيقة.

وكانت عنيزة حتى بداية هذا القرن أكبر تجمع سكاني وأهم مركز تجاري زراعي في المنطقة. يقول سادلير، الذي مر بعنيزة سنة ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م) «عنيزة قصبة الجزيرة العربية جغرافياً وسياسياً وتجارياً، فهي منطقة وصل بين الخليج العربي والبحر الأحمر، فعندها تلتقي عدة طرق» (1866: p87). لكن هذا الدور تغير، نتيجة نمو بريدة، وتزايد سكانها، واتساع نشاطها خلال العقود الأربعة الماضية.

ويُعتقد أن استقرار السكان في عنيزة بدأ سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) وقيل عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، ومن المحتمل أن تكون من أقدم مراكز الاستيطان في المنطقة إذ استقر السكان بها بصفة دائمة منذ بضعة قرون، وهناك بعض الأدلة الأثرية التي تؤكد أن المنطقة كانت مكان

استيطان واستقرار منذ القرن الثالث قبل الميلاد (أطلال ١٣٩٩ : ٩٢).

وتضم عنيزة عدداً من الأحياء القديمة، التي تتركز في قلب مدينة عنيزة التجاري. من هذه الأحياء: حي المسهرية الذي يضم مجموعة من الأحياء الفرعية، وحي العقيلية، وحي الربيعية.

ويعكس تخطيط مدينة عنيزة تاريخها الطويل، الذي يمتد حوالي ٧٥٠ عاماً أو ٩٢٤ عاماً، وتدعى المستوطنة الأولى (الجناح)، نسبة إلى آل جناح من بني خالد، وقد تجمعت المستوطنة في آخر الأمر من أربع قرى، هي الضبط والخريزة والمليحة والأخيلة. ويحيط بالقرى الثلاث الأخيرة وبعض المزارع المتاخمة لها، سور من الطين، شيد لحمايتها خلال الحروب القبلية من أجل الأرض والموارد الطبيعية. وأدى التزايد التدريجي للسكان إلى توسع المستوطنات، فتمددت هذه القرى الأربع بعضها في اتجاه بعض ونحو السور، حتى أصبح أخيراً من الضروري هدم السور الأول وبناء سور آخر يحوي رقعة أرض أوسع للزراعة. ويبلغ طول السور الثاني ١٢كم، بارتفاع يتراوح ما بين ٥-٦م وعرض ٢,٥م عند قاعدته، وعلى السور أبراج للمراقبة يبعد كل برج عن الآخر ٥٠م تقريباً. وقد هُدم السور الثاني أخيراً عندما زال خطر النزاعات الحدودية بتوحيد الجزيرة العربية تحت حكم آل سعود عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

وهناك أربع مناطق رئيسية في عنيزة هي: الضبط، والجناح، والحيالة، ومنطقة المستشفى. فمنطقة الضبط في الجزء الشمالي من المدينة، وهي موقع أولى المستوطنات في وادي الرمة الذي يمثل أغنى الأماكن الزراعية في عنيزة. وكانت الضبط في الأصل منفصلة طبيعياً عن بقية المدينة، إلا أنها تتمدد الآن وتتجه للانضمام إليها.

ومنطقة الجناح إلى الجنوب من منطقة الضبط، وتنفصل عنها جزئياً بمساحات من الغابات.

وتُعد الحيالة منطقة جديدة إلى حد ما في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة. وهي في الأصل موقع مستوطنة البدو، ولكنها منفصلة عن المدينة، بسبب رغبة البدو في الاستقلال عن أنماط حياة المدينة إذ إنهم يرغبون في الاحتفاظ بنمط حياة الرُحّل التي اعتادوها، وفي الوقت ذاته هم بحاجة إلى البقاء قريباً من المدينة لسهولة الحصول على خدمات الرعاية الصحية والتعليم والعمل المُربح.

وأما منطقة المستشفى فنشأت عندما شُيد مستشفى عنيزة في الجزء الجنوبي

الشرقي من المدينة. وتعد البيوت الجديدة والفيلات (الدارات) الخرسانية التي شيدت لموظفي المستشفى هي أساس تطور هذه المنطقة، التي استقطبت أناساً أكثر وتوسعت في اتجاه منطقة الحيالة. وقد اتصلت هاتان المنطقتان حالياً.

وتضم المناطق الرئيسية الأربع حوالي ٣٥ مجاورة سكنية، تكونت هذه المجاورات السكنية في الأصل حول المزارع المنفصلة وأخذت منها أسماءها.

وأما عن النمط العمراني لعُنيزة فإن القطاع القديم للمدينة يقع غربي شارع السلسلة، وفي وسط هذا القطاع السوق الرئيسي الذي يمثل قلب المدينة. ويقوم في وسط هذا القطاع على جانب السوق الرئيسي أقدم وأكبر مساجد الجمعة في المدينة، وتبدو مئذنة المسجد في مستوطنة الخبرا كأحد أهم رموز الحيز الفراغي الرأسي. فارتفاعها ثلاثة أمثال ارتفاع مباني المستوطنة، وتنفرد بشكل مخروطي مميز.

والشوارع في القطاع القديم ضيقة ومغطاة في بعض أجزائها -وتسمى المجابيب- وتكتظ بالبيوت الملتصقة ببعضها.

وفي مستوطنة الخبرا القديمة أماكن خارجية خُصت بأسماء ذات أهمية تاريخية أو اجتماعية أو بيئية. فهناك مثلاً مكان يدعى العجيبة وهو حُطام لمبنى دائري بالقرب من المستوطنة ويتخذ مكاناً للعب. وهناك أيضاً مكان يطلق عليه الملاح وهو تل رملي كبير يجتمع عنده الناس في الليالي المُقمرة ويتسامرون، بينما يزاول الأطفال الألعاب الليلية.

حائل. يطلق على مدينة حائل (عروس الشمال)، وتعد المدينة الرئيسية في وسط شمال شبه الجزيرة العربية، ويعتقد بعض العلماء الأوروبيين أن مدينة حائل هي (آرى كومي) التي أشارت إليها المصادر اليونانية في القرن الثاني الميلادي عند الحديث على البطالسة. والقلاع هي أبرز العناصر العمرانية في حائل. منها (قلعة عيرف) التي بناها الأتراك العثمانيون في نهاية القرن الماضي (قبل عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٥م). وهي مبنية من اللِّبْن، وتعد من أقدم الحصون الباقية المبنية من الطين، وهي على إحدى الحواف التي تطل على مدينة حائل. وقد استخدمها جلالة الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، قلعة عسكرية. وبنيت الجدران الخارجية لهذه القلعة من طبقات من الطين المتماسك المخلوط بالقش، والجدران سميكة عند القاعدة ويقل سمكها كلما ارتفعنا إلى أعلى، وقد

قلعة عيرف بحائل

طليت الجدران بطبقة من الملاط الطيني. أما السقف فقد استخدمت فيه جذوع وأغصان الأشجار وحصائر مصنوعة من أوراق النخيل مع تغطيتها بطبقة سميكة من الطين. وبالقلعة فتحات بارزة كانت تستخدم لإطلاق النار، والقلعة الآن ملك للدولة وتحت رعاية وزارة المعارف وإدارة الآثار والمتاحف.

ومن القلاع الأخرى قلعة القشلة التي بنيت في بداية القرن العشرين (١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م تقريباً)، بناها الأمير عبد العزيز بن مساعد لتقيم فيها حامية الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه. وهذه القلعة هي ثانية أقدم القلاع المبنية من اللِّبْن في حائل، وهي على الشارع الرئيسي الذي يمر بقلب مدينة حائل.

وفي حائل حصون ضخمة مبنية من اللِّبْن، وتمتاز بالنقوش الدقيقة على أبوابها ونوافذها، وبجدرانها الداخلية كوات (جمع كوة) محفورة ومزينة لوضع الدلال وأدوات الشرب. وقد بنيت القلعة من طبقات الطوب الطيني، وزينت الجدران من الخارج والداخل بأفاريز بارزة في الملاط الطيني، وبها أفاريز من الجص الأبيض والملاط المصنوع من مزيج من الجبس والإسمنت الذي يغطي الجدران من الداخل وكذلك فتحات النوافذ والأبواب. وقد يوجد في أسوارها الضخمة وأبراجها فتحات للمدافع

إحدى القلاع في قفار في حائل وتظهر فتحات المدافع

التقليدية. كما امتازت حائل وقراها بأسوارها العظيمة التي بنيت من عروق الطين بسمك عظيم، حتى وصل سمك بعضها إلى نحو مترين؛ وقد بني من جدارين متلاصقين سماكة الواحد منهما نحو متر تجعله يصمد أمام ضربات المدافع. وتحوي بوابات القصور والحصون جميع العناصر العمرانية التي تشتهر بها العمارة النجدية مثل الطرم والمصاليت، كما تزود السطوح بالشرف.

ومن العناصر العمرانية الأخرى بحائل درب زبيدة ويمر بشرقي المنطقة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. وينسب هذا الطريق إلى زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد (١٤٥-٢١٦هـ)، التي كانت مهتمة بإقامة العديد من المرافق لخدمة الحجاج. وقد أطلق على كثير من المنازل الواقعة على الطريق اسم زبيدة تشريفاً لها. وذكره الحربي، وهو أحد الجغرافيين المسلمين الأوائل الذين أشاروا

سور البشر بحائل مع ملاحظة عروق الطين

إلى درب زبيدة، وذكروا إحدى عشرة محطة ومنزلاً على طريق الحج مزودة بوسائل حفظ المياه، سواء أكان ذلك على شكل آبار وأحواض أم برك (خزانات مياه) أم استراحات وحصون.

وكان درب زبيدة يمتد لأكثر من ١٠٠٠كم ابتداء من الكوفة بالعراق حتى ضواحي مكة، وظل هذا الطريق مزدهراً يخدم الحجاج لمدة خمسة قرون، أثناء الحكم العباسي في بغداد، وما تزال بعض بقايا من هذا الطريق ممثلة في أعلام الطريق توضح المسالك التي يمر بها المسافرون. وقد بنيت هذه الأعلام على مسافات محددة بحيث تكون المسافة بين كل علمين حوالي ميلين، وفي حالات أخرى تكون المسافة حوالي ميل، وغالباً ما تكون الأعلام عموداً من الأحجار يتراوح طوله ما بين مترين وثلاثة أمتار. كما توجد أحواض وحطام برك تغطيها المياه في كل من الأجفر وفيد وسميرا (الراشد ١٤١٤: ٣٢٩)

إحدى حصون حائل التي تستخدم الآن متحفاً

وتحيط بحائل مجموعة من المستوطنات التي تحوي أنماطاً من العمارة التقليدية أو الآثار، مثل توارن بجبال أجا، شمال غربي حائل بنحو ٤٠كم، حيث توجد بقايا حجرية وجدران طينية تمثل بقايا مستوطنة قديمة ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام مباشرة، وتنسب إلى قبائل الطائيين. وتضم مقابر هذه المستوطنة قبر حاتم الطائي وقبر أمه.

ومن القرى الأخرى جبة وهي قرية صغيرة تقع شمال غربي حائل بنحو ٨٥كم في وسط رمال صحراء النفود الكبير، ويرجح أن القرية كانت أحد المواقع المهمة للتزود بالماء على طريق القوافل. وتقع بالقرب من القرية سلسلة من المرتفعات من الأحجار الرملية منها ما يعرف بجبل أم سلمان حيث توجد بعض النصوص والنقوش التي يرجح أنها ترجع إلى بضعة آلاف من السنين.

وهناك مستوطنة الحائط وتقع جنوب غربي حائل بنحو ٢٦٠كم، ويقدر عمر آثارها بنحو ١٤٠٠ سنة. وتتمثل هذه الآثار في الأبنية الحجرية، ومعظمها ذات طابع دفاعي تتمثل في بعض بقايا أسوار دفاعية (وربما يكون ذلك أساس تسمية الحائط) وآثار أبراج على مسافات متساوية. وإلى الجنوب الغربي من الحائط بنحو ٤٥كم توجد استحكامات أثرية.

أما قرية فيد فهي جنوب شرقي حائل بنحو ١٢٠كم، ويشار إليها على أنها أقدم مستوطنة في منطقة نجد الشمالية، ويعتقد بأن استيطانها بدأ منذ فترة تتراوح ما بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ سنة. وترجع أهمية فيد إلى أنها كانت تقع في منتصف المسافة على درب زبيدة، وكانت بها مرافق زراعية، حيث كانت الأعلاف تزرع بها، بها آبار وأوعية لتقديم مياه الشرب، لأن فيد كانت بمثابة محطة خدمة كبيرة

وتتمثل الأهمية التاريخية لقرية فيد في موقعين تاريخيين. يقع الأول شمالي قرية فيد الحالية بنحو ١,٥كم، وهو يمثل إحدى محطات درب زبيدة حيث يوجد حطام بركة وحوض، على شكل مستطيل طوله ٣٠م تقريباً، وعرضه ٢٠م، والبركة مبنية من حجر البازلت المحلي.

ويتمثل الموقع الثاني في بقايا قصر جرش، وتبلغ مساحة الموقع ٣٠٠م٢ تقريباً، وكانت جميع المباني في الموقع مبنية بالأحجار البازلتية السوداء المحلية. ومن الأحجار التي عثر عليها حجر رحى لطحن الحبوب يبلغ قطره ٤م تقريباً، وتوجد بقايا أساسات مبانٍ قوية مربعة وعمودية، تدل على مهارة عمال البناء آنذاك (وزارة الشؤون البلدية والقروية، حائل ١٤٠٤: ١٩٧-١٩٩).

الطرقات

تمتاز المدن والقرى في المنطقة الوسطى بالتخطيط الدقيق والمحكم في وضع الطرقات داخلها؛ إذ إن معظم المدن والقرى تحاط بطريق محاذ للأسوار من الداخل ومن هذا الطريق تتفرع الطرق باتجاه وسط المدينة مروراً بالأحياء الداخلية، فالطريق المحاذي للأسوار وضع لكي يسهل ذهاب الداخل من خارج المدينة إلى منزله دون تخلل للأحياء، حفاظاً على خصوصيتها ولا سيّما أنهم في السابق كانوا يتنقلون على الجمال والحمير، كما يسهل حركة الأغنام التي كانت تخرج للمرعى وتدخل إلى المدينة فلا تكون هناك مضايقة للناس ولا تنثر مخلفاتها داخل الأحياء. أما الطرقات الداخلية فهي ضيقة ومتعرجة، وذلك

الطرقات الضيقة وتعرجها في القرى – أشيقر

الشوارع الضيقة وبيوت الطين المتقاربة – المجمعة

لحماية السكان من الناحية المناخية إذ يحدُّ ذلك من تأثيرات أشعة الشمس المباشرة بكسرها على الأجزاء العليا من المباني، كما يحدّ أيضاً من تأثيرات التيارات الهوائية الباردة شتاءً والحارة صيفاً والمحملة بالأتربة. وتوجد في الطرقات داخل الأحياء السوابيط، ومفردها سابوط، وهو سطح أو غرفة خارجة من أحد البيوت إلى البيت المقابل، وهي في الدور الثاني، ويكون أسفل هذه الغرفة طريق مظلل، وتستخدم السوابيط لجلوس أهل الحي بالإضافة إلى توفيرها الظل في الطرقات، وتكون غالباً بالقرب من المساجد الجامعة لجلوس النساء وقت سماع الخطبة يوم الجمعة. وعلى جوانب الطرقات تكون المنازل متقاربة متلاحمة، ويحرص معظم الناس على أن يكون البيت ملتصقاً أو مشتركاً مع جدار الجار من أكثر من جهة لحمايته من الأمطار وعوامل التعرية، ويحرصون على أن يكون البيت متجهاً للشمال ليستفاد من برودة ريح الشمال صيفاً وكلما ارتفع سقف المنزل زادت برودته. وداخل كل حي طرقات كثيرة متفرعة تؤدي إلى ساحة الحي التي يوجد بها المسجد.

الساحات (الأفنية)

يكون بالمدينة، وخاصة في المركز، فناء كبير على جنباته دكاكين، وأماكن للجلوس، بالإضافة إلى المسجد الجامع، وغرف مشتركة تسمى بغرف الجماعة. وتوضع بهذه الغرف الموازين الكبيرة، بالإضافة إلى استخدام هذه الغرف لحجز الماشية المفقودة لحين حضور صاحبها، وهذا الفناء هو المركز الحيوي داخل المدينة حيث يتم البيع والشراء واجتماع أهل القرية في المناسبات والأعياد، وكذلك يكون في كل حي فناء، وفي أفنية الأحياء توجد المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس، باستثناء صلاة الجمعة التي تؤدى في المسجد الجامع في القرية، وهذه الساحات أو الأفنية يجتمع فيها أهل الحي بصفة يومية، وخاصة في الصباح الباكر وبعد صلاة العصر.

وقد وصف بلغريف الساحة العامة في مدينة بريدة، المملوءة بالناس والحيوانات عام ١٨٦٢م فذكر دكاكين الخرازين، والحدادين. التي تظهر في نهايتها الساحة العامة للمدينة... وهي ساحة منتظمة الشكل ويحتل المسجد الكبير نصف مساحة أحد جوانبها، وهو مسجد عمره حوالي مئتي سنة، إذا حكم عليه بمظهره وأسلوب بنائه؛ لأنه لا يحمل أية كتابة أو نقش يدل على تاريخ بنائه. وهذه قاعدة عامة، في بنايات وسط الجزيرة العربية وشرقها إذا ليس هناك

ساحة روضة سدير القديمة وحولها صفوف من الدكاكين

كتابات عربيــة كوفية أو حميرية، على العتبــة العليا للــباب والنافذة، أو على الأعمدة... وللمسجد مئذنة عالية جداً مما يدل -ضمن أشياء أخــرى- على أن تاريخ بنائــها يعود إلى ما قبل السيــطرة الأولى لأنصار الدعوة السلفية الذين لا يجبذون بناء المآذن العالية لأنها لم تكن موجــودة أيام النــبي ﷺ...

وفي جانــب آخر من الســاحة بهو معمد... يجلس تحت ظله مــجموعات من سكان المدينة يناقشون الأخبار وأمور التجارة. أما الــساحة الرئيسية فتحــتلها الجمال والــرزم المحتوية علــى مختلف البضائع، أكثرها البن اليمني، والحناء، والزعفران.

وتتفرع من هذه الساحة شوارع فيها أسواق لهذه البــضاعة أو تلك، وينتهي كل واحد منها بمداخل تفصلها عن المساكن العادية... وأسواق الخضراوات والفواكه كبيــرة جداً ولا يعمل فــيها غير الــنساء وكذلك محلات البقالة والبهارات...

والملح الصخري ذو الصفاء والبياض الملحوظين والمجلوب من غرب القصيم صنف معروض في كل الأسواق للبيع. وهناك رقائق ضخمة منه، بلورية وجميلة في أغلب الأحيان، مكومة أمام أبواب الدكاكين.

وعدد البدو في بريدة أقل بكثير مما هو في شوارع حــائل. ولهذا فإننا فــي الحقيــقة لا نقابلهــم إلا من حين لآخر استثناءً. لكنْ نجد بدلاً منهم أعداداً كبيرة من رجال المدينــة حسني الهندام جادي المظهر، يحملون عصياً صفراء من خشب السدر، وعلى رؤوسهم غترات غير مثبتة بالعقال الأبيض، أو الأسود المصنوع من وبر الإبل. والعقال مــن الأشياء المميزة في شمال الجزيرة لكنه يصبح أندر كلما تقدمنا نــحو وسطها ويختفــي كلية في شرقها.

ولاحظ بلغــريف أنّ للمدينة كــلها طابع القدم لكن ازدهارها الاقتصادي في اضمحلال... وهناك منازل جديدة قليلة لكن كثيراً منها ألم به الخراب... ووجوه كثير ممن قابلناهم جادة، وأصواتهم غير عالية. وقد حرمت الدعوة السلفية عليهم لبس الحرير. أما التبغ فيدخن سراً داخل البيوت...

وذكر أيضاً أن نظام البيت الداخلي يختلف عن نظام البيت العادي في جبل شمر فمنازل القصيم مبنية قرب بعضها والساحات داخلهــا تصبح قيمّة نسبيــاً. فالساحات أصغر والغرف ضيقة. وبناء طابق ثان شائع هنا بيــنما هو في حائل في حكم النادر. ووفرة الخشب في هذه

المنطقة تجعل استعمال الفحم غير ضروري. ولهذا لا تجد مواقد الجوف وجبل شمر الصغيرة، وإنما نجد مكاناً للنار محفوراً في الأرضية وأطرافه وأثافيه من الحجر ومكوم عليه خشب الغضة والمرخ لتعد القهوة على لهب نيرانه. والقهوة هنا أكثر من ممتازة لأنها تصنع من أفضل بن يمني يجلب للقصيم (نصر ١٩٩٥: ٩٥-٩٦).

المساجد

اهتم سكان المنطقة الوسطى بالمساجد، وحرصوا على ألا تخلو حارة من الحارات في القرية أو المدينة من مسجد أو مسجدين. وكانوا يجلبون حجارة الأساسات من الجبال حول القرية، فيهذبونها بالآلات البدائية، التي غالباً ما تكون من عمل صُنّاع البلدة، أو تلك المستوردة من بعض المناطق والبلدان الأخرى. أما اللِّبْن فيصنعونه بأنفسهم؛ وهو غالباً من الطين المخلوط بالتبن لتقويته.

وعندما نشأت المدن أصبح المسجد الجامع في موقع مميز في مركز المدينة، وكذلك المساجد الأخرى. وكانت أهم العناصر في تخطيط المسجد هي الخلوة والأروقة (المصابيح) وصحن المسجد والمحراب والمنبر والسطح والمئذنة،

مصباح (رواق) المسجد الجامع في أثيثية

بالإضافة إلى الأماكن الملحقة بالمسجد مثل غرف الإمام والكتاتيب والمسقاة والحائط (بستان وهو وقف المسجد).

وكان أول ما يُبدأُ به عند بناء المسجد، حفر الخلوة (وهي تشبه القبو في عصرنا الحاضر). وتكون باستطالة المسجد من جهتين، ولها بابان عند طرفي المسجد، وعمقها متران تقريباً. ويستفاد من تُرابها في بناء المسجد. وتؤسس الخلوة على حجارة مهذبة. ويقام سقفها على السواري الحجرية المدورة والمشبعة بالجص، ويتخذ شكلاً هندسياً في أعلاها. وتقسم الخلوة إلى ثلاثة أو أربعة أجزاء. وفي هذه الحالة تُبنى حوالي أربع سوارٍ لحمل السقوف المجزأة. وتكون هذه السواري في وسط الخلوة بحيث تلتقي عليها السواكيف من جهتين؛ من جهة الحائط القبلي، ومن جهة الحائط الشرقي. وتكون السارية بين هذين الحائطين في الوسط، تلتقي عند أعلاها أطراف السواكيف.

وتأخذ الخلوة شكل المسجد، فيُجعل بها محراب مواز لمحراب المسجد، وجدار قليل الارتفاع للاستناد إليه عند انتظار الصلاة. وتكون بها فُرَجٌ صغيرة غير نافذة التجويف، لوضع المصاحف فيها. والخلوة دافئة في الشتاء وباردة في الصيف، وأرضها مفروشة بالبحص السيلي، الذي يؤتى به من الأودية التي تعبرها السيول، وتكون أحجامه متفاوتة غالباً، إلا أنه يُستأنس به عند الجلوس عليه، على الرغم من صلابته وخشونته، أو تكون الخلوة مفروشة بالرمل الأحمر. وتكون أبواب الخلوة من أعلى مداخل المسجد، ويكون النزول إلى الخلوة من هذه الأبواب بواسطة درج منحدر. والخلوة غالباً مظلمة إذ ليس لها شبابيك تفتح أو تُطل على السوق، لكن قد تكون لها منافذ ضوئية في جدارها الشرقي المطل على ساحة المسجد الشرقية.

ومقدمة المسجد الغربية المغطاة تسمى الرواق أو المصباح، وتقوم على مجموعة من السواري، تتكون من ثلاثة صفوف

أحد المساجد ذات المبنى التقليدي

أو أكثر. وتكون على هذه السواري أحياناً زوائد من الجص أو الخشب توضع عليها المصاحف. وتُكسى المصابيح في الغالب بالجص، وتكون مزخرفة. وتُبنى على الجدران الجانبية، خاصة الشمالية والجنوبية، نوافذ مرتفعة للإضاءة والتهوية.

وتُعد الأروقة من الأجزاء الرئيسية في المسجد، وغالباً ما تكون رواقين أو ثلاثة. وتقوم هذه الأروقة على سوارٍ من الحجارة الأسطوانية المشبعّة بالجص، لتحمل سقف المسجد المكون من الجريد وخشب الأثل، وأحياناً من الأثل والفروش. وفي هذه الأروقة تقام الصلوات غالباً في الفترات التي يكون فيها الجو لطيفاً مثل أيام الربيع والخريف. وهذه الأروقة تكون مفتوحة من إحدى جهتيها على صحن المسجد، بينما الجهة الأخرى تكون لها فُرَجٌ صغيرة مصمتة لوضع المصاحف.

والصحن أو السرحه فناء يكون في آخر المسجد أو بين الأروقة، وهو فناءٌ مستطيل الشكل في الغالب أو مربع، ويوجد في مقدمته جدار لا يزيد ارتفاعه عن ٤٠ سم، وذلك لاستناد المصلين إليه أثناء انتظار إقامة الصلاة. وتُصلّى في هذا الفناء في فترة الصيف صلوات الفجر والمغرب والعشاء. كما يكون في مقدمة الفناء من جهة الغرب جدار منحن ارتفاعه ٤٠ سم يشكل اتجاه القبلة، ويسمى السترة.

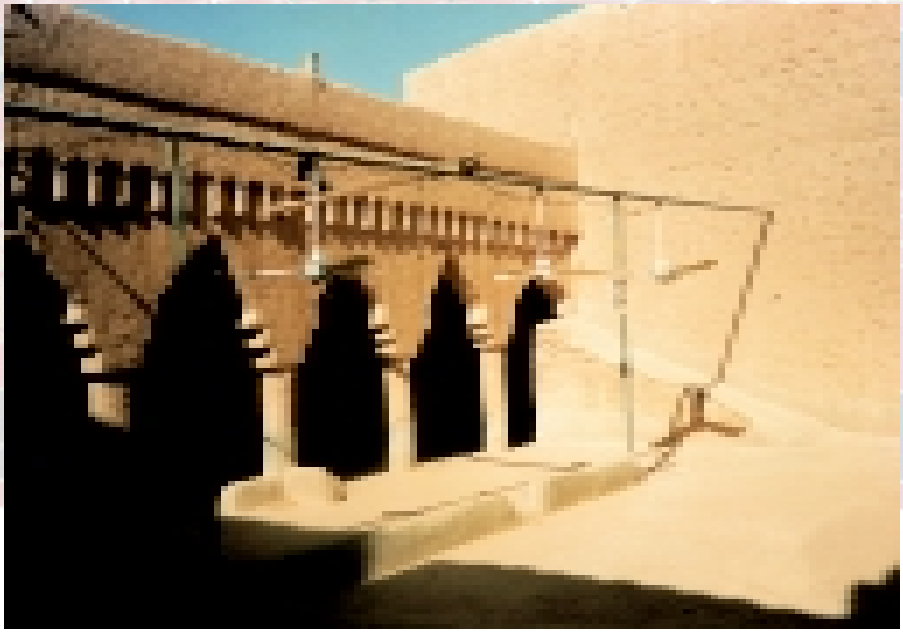

رواق (مصباح) أحد المساجد القديمة في ثادق، كما يبدو صحن المسجد

والمحراب هو التجويف الذي في مقدمة المسجد، وبالتحديد في منتصف الضلع الغربي، وهو باتجاه القبلة. ويكون نصف المحراب أو كله غالباً مكسواً بالجبس ومزخرفاً بحزوز نباتية، ويندر زخرفته بزخارف كتابية من آيات القرآن الكريم.

والمنبر هو مكان على يمين المحراب ويرتفع عنه بمقدار ثلاث درجات أو أكثر. ولا يوجد المحراب إلا بالمساجد الجامعة ليقف عليه الإمام لإلقاء خطبتي الجمعة.

ويكون سطح المسجد فوق المصابيح، ويصعد إليه في الغالب بدرج في طرفي المسجد الشمالي والجنوبي. وتقام الصلوات في السطح في بعض الفترات من السنة، خاصة في رمضان إذا كان الجو لطيفاً. وتبنى على جوانب السطح جدران لستر البيوت المجاورة عن المصلين.

وهناك مساجد لها منارات (مآذن) مرتفعة وأخرى غير مرتفعة وتختلف المآذن في المنطقة الوسطى من حيث الشكل، فهناك الأشكال المربعة أو الدائرية، والأشكال الأسطوانية البديعة التي تتسع من أسفل وتضيق من أعلى لتأخذ شكل

الدرج إلى السطح والمئذنة

مئذنة أحد المساجد القديمة كما يظهر الدرج

البلبـول. وعلى الرغم من عدم وجود مكبرات للصوت (مكرفونات)، إلا أن صوت المؤذن كـان يصل إلى مـسافات بعيدة، وغالباً ما يسمع صوت مؤذن من حـي آخر، حـسـب هـبوب الـريـاح واتجاهاتها.

والمزولة أو الشـاخص مهمة لمعرفة أوقات الصلاة في الماضي. وتتكون من قطعتين من الحجر إحداهما ذات شكل مثلث توضع بشكل أفقي متعامدة على منتصف جدار القبلة من ناحية الصحن، وفي القاعدة التي تطل على الصحن ثقب يبلغ قطره ٨سم. وتعـمل المزولة ابتداءً من الساعة ١٢ تماماً أي مع تعامد الشمس

شاخص التوقيت للصلاة منصوب على جدار السطح العلوي في أحد مساجد القصيم

حيث تسقط الشمس مع الفتحة الموجودة في الحجر الأفقي ثم ينتقل بعد ذلك ظل الشاخـص إلى قطعـة أخرى من قطـع الحجارة التي توضع على مسافات متناسبة لتحديد الوقت حتى يكتمل ظل الزوال

الأحجار المستخدمة لقياس ظل الشاخص وتقدير الوقت في أحد مساجد القصيم

شاخص لتوقيت الصلاة مع العلامات الأرضية على شكل قوس من الأحجار الصغيرة لتقدير الظل

وهو دخول وقت صلاة العصر (الشويش ١٤١٥: ١٤٥-١٤٦).

وتبنى قريباً من المسجد حجرة كبيرة تُتخذ مدرسة لأبناء البلدة (كتاتيب)، يتعلمون فيها القرآن ومبادىء الكتابة والحساب. ويتولى تعليمهم إمام المسجد، ويسمى المطوع. ويكون المطوع غالباً المأذون الشرعي للأنكحة، ويسمى المملك. وأما إمام المسجد الجامع فيكون عادة قاضي البلدة أو أحد علمائها، ويتولى خطبة الجمعة. وهو يجلس عادة في آخر المسجد بعد صلاة الفجر كل يوم، ويجتمع إليه طلبة العلم ليدرسوا عليه اللغة العربية والتوحيد والفقه والحديث والفرائض.

ويسمون المكان المعد للوضوء والغسل المسقاة أو المغسل، ويكون بجانب المسجد. وهو مقسم إلى أماكن للغسل (المراوش) وهي غرف يزيد ارتفاعها عن مترين، ومساحتها في الغالب ١,٥م× ١,٥م، وتكون مفتوحة من إحدى الجهات بمدخل منكسر يُعطيها الخصوصية وعدم رؤية من بالداخل. كما توجد أماكن للوضوء مفتوحة. وتلحق عادة بالمسقاة بئر للاستفادة من مياهها. وفي المسقاة الدلو، والدلو وإن كان يطلق على الزنبيل من الربل الذي يحدر في البئر لاستخراج الماء، إلا أن الاسم إذا أطلق في ذلك الوقت انصرف إلى كامل المكان

خلف المسجد، ويشمل البئر والمروش والشريب. وتُحفر بئر المسجد شرقه، وهناك آبار في بعض المساجد حفرت من فوهتها حتى قاعها في الصخر، وهذا يبين قوة السكان وقدراتهم آنذاك. وتتكون الدلو من البئر ومن المروش، وفي أعلاه قرو، وهو حجر كبير مجوف، وضع في أعلى الجدار قريباً من البئر، لتسهيل صب الماء فيه من الدلو، وبه ثقب يسد بقطعة قماش مربوط طرفها في الجدار ويفتح الثقب بسحب القطعة إذا أريد تفريغه من الماء. كما يُسد المروش حتى يمتلىء بالماء، وغالباً ما يكون عمقه نصف متر وقطره ٨٠سم. فإذا امتلأ بالماء دخل من يريد الاغتسال.

أما من يأتون للوضوء، فيزعبون الماء من البئر بالدلو، ويصبونه في تجويف صخري مستطيل أمام البئر، طوله حوالي متر أو أكثر، وعرضه حوالي ٤٠سم، وبه ثقوب من الجانبين، تسد أيضاً بخرق ويسمى بالشريب، ويملأونه بالماء ويتوضأون به. ويجري فائض هذه المياه في شكل مجرى صغير من الدلو، إلى الحويّط لسقيا النخيل، وبذلك لا يذهب الماء هدراً. وعلى البئر ما يسمى بالدامغتين وهما جذعان من النخل يقومان على خشبتين من الأثل من أطرافهما. وقد يحدث عكس ذلك، فتصبح الخشبتان على شكل دوامغ. ويقومان من أطرافهما على جذعين معترضين من جذوع النخل، وبين الدامغتين محور به المحالة. ويكون المحور من الخشب مُدْخلاً في القب، وهو شكل أسطواني خشبي تُزرع فيه أسنان المحالة، وفي وسطه ثقب يكون به المحور لكي تدور المحالة عند زعب الدلو. ويكون المؤذن عادة مسؤولاً عن الدلو وبيته قريب من المسجد، وقد يتولى الإمام مسؤولية الدلو في بعض المساجد. كما يكون لدى المسؤول عن الدلو ما يسمى بالعوقدة وهي تُشبه سنارة صيد السمك لكنها ذات ثلاثة شناكير مزروعة في مسطرة حديدية عريضة إلى حد ما، ويُربط فيها حبل، وتلقى في البئر لإخراج الدلو عند سقوطه في البئر؛ فالدلو أحياناً تنطلق من أيدي الأطفال بسبب ثقل الماء فلا يتحكمون فيها، وينطلق الرشاء (الحبل الذي تُزعب به الدلو) من أعلى المحالة، وتسقط الدلو في البئر. أو قد ينقطع الرشاء، فتقع الدلو في البئر ويضطرون لاستعمال العوقدة لإخراجها، وعادة لا تأخذ العملية وقتاً طويلاً، لأن البئر ضيقة. فعند تحريك العوقدة بالحبل في البئر يمنة ويسرة تشبك في حبال الدلو، لكن أحياناً

تأخذ وقتاً طويلاً عندما تسقط الدلو على وجهها وتتكوم حبالها تحتها فيحتاج الأمر إلى تحريك من هنا وهناك حتى تخطف العوقدة حبال الدلو ويخرجونها.

وتوجد في جدران الدلو فرجة صغيرة يوضع بها سراج البئر (الدلو)، وهو مصنوع من التنك فيه قاز وفتيلة من القماش تبلل بالقاز ثم توقد. وقد قصد بالتجويف في الفرجة أن يحمي السراج من هبوب الهواء لكي لا ينطفىء، وليكون السراج أيضاً مستقراً في وضعه.

والحائط (الحويّط) بستان فيه مجموعة من النخيل والأشجار، يسمى الحائط أو الحوِّيط يكون بجانب المسجد، وهو وقف خاص بالمسجد يستفاد من ثماره في تفطير الصائمين والصرف على طلبة العلم وترميم المسجد وتأمين احتياجاته من فرش ومواد ووقود للإضاءة وغيرها، وقد يكون للإمام والمؤذن نصيب منه. وتُسقى أشجار الحائط غالباً من المياه المتدفقة من أماكن الوضوء وصهاريج المنازل القريبة من المسجد، وكذلك من تصريف مياه السيول من المسجد والشوارع القريبة من الحائط وتكون بئر المسجد غالباً في أحد أركانه.

وفي بعض المساجد، وخاصة مساجد الجمعة، توجد غرف بالقرب من المحراب والمنبر يستريح فيها الإمام قبل الخطبة في

منارة جميلة في إحدى المساجد بنجد مع إحاطته بنخلات عادة ما توقف على المسجد

يوم الجمعة. وفي الغالب تُلحق بهذه الغرفة مكتبة، تحتوي على الكتب الدينية واللغوية والاجتماعية والعلمية التي يستفيد منها الإمام في تدريس الطلاب.

وكانت المساجد في السابق وقبل استعمال القاز تضاء بالدهن (الودك)، وهو الشحم المذاب، يوضع في السراج المصنوع من التنك ويسمى أبو دنان وتوضع به قطعة من القماش ويوقد بطرفها فيضيء. ثم عُرف القاز بعد ذلك. ويأتي إمداد المساجد بالدهون من تبرعات المحسنين، كما يظهر في الوثائق والحجج الموجودة بالمساجد. وكان الفقراء يأتون إلى المسجد ليلاً ويأخذون من دهن السراج لِدَهن الشطوب في أقدامهم والمشق في أكفهم لحاجتهم الماسة إلى الدهن، (الشطوب والمشق هي الجروح والتشققات التي يحدثها البرد) وفي ذلك يقول المثل «أحْد يتصدق على السراج، وأَحْد ياخذ من دهنته».

وأما مصلى العيد فيكون خارج المدينة أو القرية قريباً منها، في أرض فسيحة خالية من الأشجار والأحجار. وفيها تقام صلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء وهو غير مسوّر، وإنما به محراب فقط.

واشتهرت في مدن وقرى المنطقة الوسطى مساجد كثيرة بالرياض والخرج والدرعية وسدوس وغيرها سنذكر هنا أهمها:

جامع الإمام محمد بن سعود بالدرعية. ويعد هذا المسجد من أهم مساجد الدرعية، على الضفة الغربية لوادي حنيفة بجوار قصر الحكم بالطريف. وقد بُني هذا المسجد في بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، وما تزال بقاياه موجودة، وتتمثل في بعض الأعمدة، والأقواس التي ترتكز على أعمدة حجرية.

وقد بُني المسجد من اللَّبْن، بأسلوب معماري نجدي تقليدي. ويرجع بناؤه إلى سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٩م). وكان صحنه مستطيلاً، وإلى جانب منه تقوم الخلوة التي تشكل الطرف الشرقي كله للمسجد، ولها سلم يؤدي إلى سطحها من الطرفين. وفي جدار المسجد الغربي، حيث القبلة، ثمة بروز للمحراب (King 1986: 150-151).

الجامع الكبير بالرياض: تضم الرياض القديمة مجموعة من المساجد، من أبرزها الجامع الكبير أو جامع الرياض، الذي بُنى سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م في عهد الإمام تركي بن عبدالله. وقد بني الجامع أول مرة من الطين والحجر، ويُشبه أسلوب بنائه أسلوب بناء المساجد في

نجد، إلا أنه يختلف من حيث اتساعه. فهو كبير المساحة كي يتناسب مع أهميته بالنسبة لعاصمة الدولة. وقد قدّرت مساحة المسجد بنحو ١٢٥×١٠٠قدم، أي حوالي ٣٨م × ٣٠م. والمسجد عموماً مستطيل الشكل، كما يتضح من أبعاده. وله مداخل من جوانبه الشمالية والشرقية والجنوبية، وباب ناحية الغرب تجاه القبلة حيث يوجد المحراب. وكانت مئذنته ذات قاعدة مربعة، ومدخله الرئيسي يواجه السوق من الجهة الجنوبية. وقد حُدد اتجاه القبلة في الجنوب الغربي بنتوء طفيف يُلاحظ من خارج الجدار.

وكان الفراغ الداخلي لمسجد الرياض، في ذلك الوقت، ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأوسط الذي يشكل فناءً مكشوفاً ذا أرضية من الحصى المثبت، ويشغل ربع مساحة الجامع، أما الجزءان الآخران فأروقة مسقوفة بأسقف مسطحة منخفضة، ترتكز على صفوف من الأعمدة الحجرية، تُشكل أروقة معمّدة وملائمة للمصلين. وكان سقف الأروقة محمولا على أقواس مدببة، تدعمها أعمدة مستديرة تسمى طيقان، مبنية من الحجارة، وأبعادها ١٢٠سم × ٤٠سم × ١٥سم، ولا يزيد ارتفاعها على ثلاثة أمتار من تاج القوس. وهناك ثلاثة أروقة شرق صحن المسجد، وعشرة أروقة جهة القبلة غرب صحن المسجد، ولكل رواق ٢٥ عموداً. وهذا يعني أن بالمسجد ٣٢٥ عموداً. ويُذكر أن الأعمدة بنيت من الحجر والدبش (والدبش كِسَر الحجارة التي تملأ بها الفراغات ويعدل بها حجرٌ على الآخر في استقامة جيدة) منعّمة ومكسوة بالملاط. وكانت على الأعمدة رفوف صغيرة توضع عليها المصاحف. وذكر بلغريف أن الأعمدة كانت خشبية ومربعة الشكل (King 1986: 156-157).

وعلى الرغم من كِبَر مساحة المسجد، كانت هناك أيضاً مساحة أخرى للصلاة تحت بناء المسجد، تعرف بالخلوة، وتستخدم للصلاة في فصل الشتاء وعند سقوط الأمطار. ويتم الوصول إلى الخلوة عن طريق درج قائم عند الجانب الشرقي لصحن المسجد. وقد ذكر بلغريف وجود ممر معلقٍ يصل بين المسجد وقصر الإمام فيصل بنِ تركي بن عبدالله. ومثل هذه الممرات المعلقة كانت مألوفة منذ القرن الثالث الهجري في عهد الدولة الأموية في قرطبة بالأندلس. وتمتاز سقوف المسجد وجدرانه بخلوها من الزخارف، وقد بنيت من الطين، وسقفت بالأخشاب والجريد، على الطريقة التقليدية السائدة في إقليم نجد.

ومن المساجد المشهورة جامع الملك عبدالعزيز بالخرج ريقع وسط السليمانية، وهو من أقدم مساجد الخرج، وبناؤه من الطين، وأبعاده ١٠٠م × ٥٠م. ويمتاز بسواريه الكثيرة، ويتألف من دور واحد، وله مئذنة طينية، وقد هُدّم وجُدّد بناؤه.

ومن المساجد الأخرى في الخرج مسجد الشعيبي، وينسب إلى الشيخ الشعيبي، وبناؤه من الأحجار، وهو إلى الشرق من جامع الملك عبد العزيز، وهو أقل مساحة منه. والمسجد ما زال بحالته التي بني عليها، ويرمم ما بين حين وآخر.

وفي سدوس عدد من المساجد المشهورة من أهمها مسجد سدوس وقد بني من اللبن، وهو من طابقين، وبنيت أعمدته من الحجارة حيث تُشذب جوانبها وترص، ثم يتم نهو العمود بالجص. أما سقف المسجد فقد شيد من خشب الأثل والجريد، وفوقه طبقة من الحجارة الرقيقة، تسمى الفروش لأنها مسطحة. وتحمل السقفَ أعمدةٌ حجريةٌ (سواري)، وللمسجد ثلاثة أبواب خشبية ومحراب. وبالطابق العلوي فناء مكشوف، أو ساحة يُصلي الناس بها في فصل الصيف، أما في فصل الشتاء فيصلون بالدور الأرضي. وإلى الشمال من المسجد بئر مطوية بالحجر، تُستخدم للسُقيا ولخدمة المصلين.

وفي حديث له عن مساجد بريدة يقول عبدالرحمن الحوشان: المساجد في العالم الإسلامي منذ بداية إنشائها ذات طبيعة واحدة إلى حد ما، وذلك في أجزاء المسجد من حيث الشكل العام أو من حيث عدد المآذن وأماكن وجودها بالنسبة للمسجد، إذ يراعى ألا تشمل حيزاً كبيراً من مساحة المسجد وذلك لغرض أداء أكبر عدد من المصلين للصلاة في المسجد. وكما هو معروف فإن ظهور المئذنة كان في البداية بالمسجد الأموي باستعمال أبراج المعبد القديم لرفع الأذان. وقد اتبع هذا الأسلوب في بناء المساجد في بريدة القديمة، حيث يكون بناء المئذنة عادة في أركان المسجد أو خارجه، وفي الغالب تكون في الجهة المقابلة للمحراب. وهناك شبه بين المآذن في العراق والمآذن في بريدة القديمة، وهو الشكل الأسطواني خارج المسجد، مثل مسجد سامراء ويشابهه مسجد الحميدي في بريدة.

ثم يذكر الحوشان شكلين من أشكال المآذن في مساجد بريدة القديمة؛ هما المئذنة (المنارة) الأسطوانية؛ وهي بناء من الطين على شكل أسطواني يضيق عند القمة ويتسع عند القاعدة، وتبنى في العادة بطريقة البناء بالعروق وليس بطريقة اللِّبْن، ويصل ارتفاع

المئذنة في بعض الأحيان إلى ٢٠ م. ويكون بالمئذنة الأسطوانية درج من الداخل وتسقف من الداخل على شكل طوابق، بحيث يكون الطابق الأول هو الأرضي ويدخل إليه من أرض المسجد، والطابق الثاني يدخل إليه من سطح المسجد.

والشكل الثاني المئذنة المربعة التي تبنى فوق الدرج المؤدي لسطح المسجد ويطلق على سطح المسجد (طاية المسجد). ويبنى هذا النوع من المساجد عادة باللِّبْن المرصوص، كما أن بعض المساجد بدون مئذنة، وتستخدم المئذنة غرفة خاصة بإمام المسجد، أو مكتبة، أو مخزناً (٢٥:١٤٠٤).

القصور

تمثل القصور عنصراً عمرانياً مهماً في القرى والمدن النجدية، ومن أهم هذه القصور قصر سلوى وقصر المصمك وقصر فيصل (قصر الحكم) وقصر المربع، والقصور التي بنيت في عهد الملك عبدالعزيز مثل قصره في الخرج.

قصر سلوى (قصر الإمام سعود). كان هذا القصر مقر أمراء وأئمة آل سعود طوال حكم الدولة السعودية الأولى، وهو في الجهة الشمالية الشرقية لحي الطريف. ويُعد قصر سلوى أكبر قصور الدرعية، ومن أبرز القصور في نجد؛ إذ تصل مساحته إلى ١٠,٠٠٠م^2. ويتكون من سبع وحدات معمارية تم بناؤها في

أحد القصور المبنية من عروق الطين مع أبراج في الزوايا (ضرما)

قصر الملك عبدالعزيز بالخرج

مراحل متعاقبة، بدأت منذ عهد الأمير محمد بن سعود بن مقرن، مؤسس الدولة السعودية الأولى.

تقع الوحدة الأولى للقصر في مواجهة الوادي، وتبلغ مساحتها ٦٩٠م٢، وهي في الركن الشمالي الشرقي من القصر، ومدخلها في الجهة الجنوبية الغربية. وقد زُود جدارها بفتحات للمراقبة والدفاع، كما حُصنت ببرجين. وتبلغ مساحة الوحدة الثانية حوالي ٧٨٥ م٢، وتم بناؤها في نهاية القرن الثاني عشر الهجري. وقد قُسمت إلى وحدات صغيرة، استخدمت مستودعات ومخازن. وبالوحدة الثانية دَرَجَان يوصلان للدور الأول والسطح.

وكانت هذه الوحدة تتصل بالوحدات الأخرى عن طريق جسر علوي يربط بينها. وامتازت واجهات هذه الوحدة بزخارف عديدة في مجموعات هرمية، أو في خطوط أفقية ورأسية، وجدران السطح مزخرفة بالشرفات المسننة. أما الوحدة الثالثة فتُعد من أهم وحدات قصر سلوى وترتفع إلى ثلاثة طوابق، وتبلغ مساحتها نحو ٢٤٥م٢، ومدخلها في الجهة الشرقية. واحتوت هذه الوحدة على عناصر معمارية عديدة، وامتازت واجهاتها بتنسيق بديع من النوافذ المثلثة. أما الوحدة الرابعة فتصل مساحتها إلى ٤٤٥م٢، وترتفع إلى ثلاثة طوابق، بينما تتكون الوحدة الخامسة من مدخل كبير

منكسر بالجهة الغربية، وحجرة للمجلس، بها بيت النار التقليدي، وحجرة كبيرة للولائم، وهي مقسمة إلى ثلاثة مساكن. أما الوحدة السادسة فمن جزءين، تصل مساحة الجزء الأول منهما إلى ١١٠٠م٢، والجزء الثاني ٤٥٠م٢ تقريباً.

قصر المصمك. يرجع بناء قصر المصمك إلى سنة ١٢٨٢هـ، وقد بناه الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي ليحل محل قصر دهام الذي كان مقراً للحكم لنحو ٨٠ سنة. والمصمك في حي الثميري بوسط الرياض. وهناك رأي يقول إن قصر المصمك الحالي بناه محمد بن عبدالله بن رشيد عام ١٣١٢هـ حسبما جاء في كتاب قصر الحكم بعد أن فنّد كل الأقوال المخالفة لذلك، بدليل التاريخ ١٣١٢هـ المكتوب (المنقوش) على طينه لما كان رطباً أخضر.

أما عن التسمية فهناك عدة تفسيرات تدور كلها حول سُمك الجدران، وأن أصل التسمية هي المسمك ثم غلب المصمك. وقد أشير إلى قصر المصمك بعدة أسماء، منها القلعة والحصن وقد طغت تسمية المصمك على غيرها. وكان المصمك داراً للسكن والحكم وبيتاً للمال، واحتوى على مستودع للذخيرة (السبيت د.ت: ١٩٢-٢٠١).

وقد بُني المصمك من الطين المخلوط بالتبن، أما الأساس فقد استخدم فيه الحجر، أما ملاط اللياسة فهو الطين من الخارج (بدون تبن) والجص من الداخل. ويحيط بالمصمك جدار خارجي سميك يصل سمكه عند الباب إلى ١٥٩سم، ويقل هذا السمك كلما ارتفع الجدار. وباب المصمك ضخم يصل ارتفاعه إلى ٣,٦م وعرضه ٢,٧م، مصنوع من أخشاب الأشجار المحلية (أثل ونخل)،

جزء من قصر المصمك

وفي وسط الباب فتحة تسمى الخوخة لا تسمح إلا بمرور شخص واحد، وذلك لدواعي الأمن. ويوجد فوق الباب ثلاث طُرمات (جمع طُـرمة)، وهي فتحة أو نافذة لها بروز خـشبي أشبه بالصندوق الذي ليس له قاع، وتستخدم للنظر من أعلى للمراقبة، ولإطلاق الرصاص إذا استدعى الأمر ذلك.

وعلى كل ركن من أركان المصمك الأربعة يقوم برج أسطواني الشكل، يصل ارتفاعـه إلى ١٨م. والبرج مقـسّم إلى طوابق، وفي كـل طابق مزاغل للرمي

باب المصمك وتظهر الخوخة في النصف السفلي

علـى محيـط البرج كلـه. وفي وسط المصمك برج مربع يُدعى المربّعة يشرف على القصر من الداخل.

ويضـم المصمـك خمس وحـدات سكنية، اثنتان في الضلع الجنوبي، وفي كل ضلـع من الأضلاع الثلاثـة الباقية وحدة سكنـية. وفي كل وحدة سكنيـة بطن بيت ومصابيح، ووسط الوحدات السكنية برحة سماوية مكشوفة هي ملقف الهواء. وبالمـصمك نحو أربع وأربعـين غرفة، بالإضـافة إلى مسجد ومجـلس كبير.

قصر فيصل (قصر الحكم). يعد قصر فيصل الملكي الضخـم، من أبرز معالم مدينة الرياض، وكان يعلو جميع مبانيها. وسمي بهذا الاسم نسبة إلى حاكم الدولة السعودية الثانية، فيصل بن تركي. وإلى جوار هذا القصر يقوم قصر أقل حجماً، كان يسكنه الأمير عبدالله أكبر أبناء الإمام فيـصل بن تركـي. والقصر مـن ثلاثة طوابـق، ويرتفع حـوالي ٢٠م. وكان يلتصق بـالقصر الجامع الكبيـر (مسجد الإمام تركي بن عبدالله) ويتصل به عن طريق جسر استخدمه الملك عبد العزيز للذهاب إلى صلاة الجمعة. وقد وصف فيـلبـي Philpy القصـر عام ١٣٦٩هـ بالجمال والبساطه والثبات وقلة الزخارف

وبروز أبراجه فوق خط أفق مدينة الرياض. وحدثت به إضافات متتالية حسب الحاجة.

وذكرت المصادر أن الذي بنى قصر فيصل هو حاكم الرياض من قبل العثمانيين، أحمد بن ناصر العائذي، وبعد ذلك سكنه الإمام فيصل بن تركي. كما قيل أيضاً إن هذا القصر كان في الأصل لدهام بن دواس، وأن بناءه قد أعيد بعد انتقال الإمام تركي إلى الرياض، بعد سقوط الدرعية.

وتتوافر معلومات كثيرة عن هذا القصر، خاصة من المبعوثين والرحالة الأجانب، ومن أبرزهم بلغريف الذي وضع مخططاً تفصيلياً وتقريبياً للقصر عام ١٨٦٢م وصفه بقوله:

دخلنا عبر باب كبير ومررنا في امتداد له طول غريب إلى أن وصلنا إلى ممر داخلي غير مسقوف، على جانبه مبان يشغلها الحاكم وحاشيته الخاصة، ومُصَلاّه. وخلفها غرف أزواجه وابنته... وأمام هذه المباني وعلى يمين الممر الذي ذكرناه ساحة غير مسقوفة محاطة في جوانبها بكراسٍ يستخدمها فيصل أحياناً لاستقبالات العامة من أتباعه. ومن هذه الساحة يؤدي باب خاص ضيق ومحروس حراسة جيدة إلى المباني التي وصفناها، والتي تكون قصراً منفصلاً داخل القصر نفسه. وتتصل هذه المباني ببقية المبنى بوساطة ممر مسقوف متفرع من الطابق الثاني فوق الممر الذي نقف فيه الآن. وهناك طريق اتصال ثالث وهو بهو طويل تؤدي أعمدته إلى المسجد الواقع على بعد مائة ياردة، ويحرص المارون فيه على تفادي الحديث.

ولابد أن أضيف أن لكل النوافذ شبكاً من الحديد، وأن الأبواب صلبة قوية ومزودة بأقفال متينة وترابيس، بينما يحيط بالجزء الأسفل الخارجي للسور منحدر خفيف يزيد من سمكه، ويعطيه مظهر التحصين المنتظم. وأخيراً، فإن الطابق الأرضي ليس له نوافذ كبيرة أو صغيرة، تفتح على الخارج.

وعلى الجانب الآخر من الممر باب المجلس، ويكون الدخول إليه عبر دهليز مسقوف حيث يضع الضيوف أحذيتهم أو سيوفهم أو كليهما. والمجلس نفسه واسع بما فيه الكفاية ويبلغ طوله نحو أربعين قدماً وكذا

عرضه تقريباً. لكنه منخفض وسيء الإضاءة وعلى البعد منه باب آخر يؤدي إلى السجن... وخلف هذا السجن مباشرة وفي مواجهة الساحة على الجانب الآخر درج طويل خارجي مكشوف يرقى إلى الطابق الثاني. وفي هذا الطابق غرفة طعام معتدلة البرودة تسع نحو أربعين شخصاً. ويفصل بينها وبين حجرة صغيرة متصلة بها حائط. ويقال إن فيصل يخلو إلى نفسه في هذه الحجرة الصغيرة...

وممر المبنى الرئيسي للقصر على مسافة أبعد، وهو يمر تحت الطابق الثاني ويتفرع إلى كلا الجانبين. فعلى اليمين المطبخ الكبير بجوار المصلى الخاص بسكان القصر... وينتهي في الخلف بساحة غير مسقوفة واسعة أخرى على جانب مستودع الأسلحة والذخيرة. وعلى الجانب الآخر ورش مختلفة، من ضمنها واحدة لتصليح الساعات، وكلها في خدمة فيصل المباشرة. وبجانب المطبخ مسكن عبدالحميد أحد مواطني البلخ... وفي هذا الجانب أيضاً يسكن صديقنا عبدالعزيز المسؤول عن الشؤون الخارجية ولكني لم أدخل مجلسه مكتفياً بمعرفة باب المجلس وموقعه.

ويؤدي الممر المتفرع على اليسار إلى وحدات سكنية أكبر وأجمل يسكنها محبوب الذي يشغل منصباً يعادل عندنا منصب رئيس الوزراء، وفي مواجهة هذه الوحدات يسكن مطوع القصر وبجواره عالم نجدي... وعلى مسافة أبعد نجد مباني كبيرة لجوهر أمين الخزانة. وفي مواجهة هذه المباني مجموعة غرف طويلة حيث يسكن شخص يدعى ناصر هو حاجب البلاط الملكي. وهذه الغرف أيضاً تحت تصرف سعود، الابن الثاني لفيصل، حين يزور أباه في الرياض وأخيراً وليس آخراً، فإن أبا شمس قائد المدفعية يسكن في نفس هذا الجزء من القصر. وإلى جانب هؤلاء المسؤولين تسكن هنا أيضاً مجموعة من ستين أو سبعين من الخدم والحشم معظمهم من أصل أفريقي. وكل واحد منهم من أعلاهم إلى أدناهم له مبان منفصلة لأزواجه... وكل مبنى منفصل كلية عن الآخر... وهناك ساحة طويلة على اليسار توازي تلك التي على اليمين والتي ذكرناها من

قبل وبها (باب السر) لاستعماله أثناء حالات الحصار وحالات الطوارئ الأخرى. وكل المبنى محاط بسور عال وأبراج مستديرة الشكل للدفاع عنه. ويحيط بثلثي الأسوار تحصين آخر يتمثل في خندق عميق من غير ماء (نصر ١٩٩٥: ٩٩-١٠١).

وأشار بلغريف إلى أن الجزء المخصص للأسرة المالكة -أي أسرة فيصل- رباعي الشكل وله ساحة داخلية، لكن لم يسمح له أبداً بدخوله. وديوان الاستقبالات الخاصة، وهو المكان الوحيد الذي يمكن أن يستقبل فيه غريب، كبير ومريح ويبلغ طوله نحو خمسين قدماً وعرضه عشرين أو أكثر. أما ارتفاعه فمناسب.

وقد أصبح القصر فيما بعد مقراً إدارياً وسكناً للملك عبد العزيز عندما فتح الرياض، قبل انتقاله إلى قصر المربع. واستمر استخدام القصر في استقبال الضيوف الرسميين والمواطنين، ومقراً لاحتفالات الأعياد والمناسبات الرسمية. وكان الملك عبد العزيز يستضيف حوالي خمسمائة شخص مرتين في اليوم لوجبتي الفطور والعشاء. ويحتوي القصر على منزل الملك ومكاتبه، ومكاتب وزرائه وموظفيه، ومجالس استقبال، ومساكن الأقارب، وأجنحة للحرس والنساء، وغيرهم. وفي الموقع نفسه قصور أقارب الملك ومساكنهم، ومنها بيت أخيه الأمير محمد بن عبد الرحمن شرقاً، وبيت الإمام عبد الرحمن، وكذلك بيت الأمير عبدالله بن عبد الرحمن إلى الجنوب.

ويحيط فناء كبير بكثير من أجزاء القصر، وتنطلق من الفناء سلالم تقود إلى القسم الملكي في الدور الأول. وتوجد به تقريباً جميع عناصر البيت النجدي الأخرى، كالليوان والأروقة وغيرها لكن بمقياس كبير. ويكثر فيه استعمال السواري وهي الأعمدة المنشأة من الأحجار، نظراً لضخامة القصر واحتياجه إلى أنظمة إنشائية قوية. وتوجد بالدور الأرضي قاعة الطعام الخاصة بإطعام الفقراء والقادمين من البادية. وهناك قاعة خاصة لاستقبال ضيوف الملك الخاصين، تحتوي على نقوش تغطي كامل مسطحات جدرانها الداخلية، وهي لوحات جصية. وهناك مصاطب (حبوس) يجلس عليها المراجعون في أمور تتعلق بمصالحهم. وتتبع الدور الأرضي أيضاً مخازن للأسلحة والذخيرة والتمور والقمح وغيرها. وللقصر بوابتان، إحداهما شمالية تفتح على الساحة الرئيسية للسوق (الصفاة)، وهي

بوابة ابن عصفور، والثانية داخل منطقة الصفاقات. وكان الملك عبد العزيز يستخدم البوابتين كلتيهما.

ويحتوي الدور الأول على بهو وجناح للديوان الملكي، وديوان لسمو الأمير سعود، ومساكن لكبار موظفي القصر، وطبيب الملك الخاص. كما توجد بالقصر مكاتب الدواوين الملكية، ومدرسة للأمراء. وترتبط بالقصر مبانٍ أخرى، كجناح النساء، وقسم بيت المال، وقسم خزن الملابس والنقود، وديوانية القهوة والمطبخ. ويرتبط به أيضاً مسجد القصر ويقوم في طرف حوش واسع.

قصر المربع. عندما استرد الملك عبد العزيز مدينة الرياض سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) اتخذ قصر المصمك مقراً للحكم، ثم أمر بإنشاء قصر كبير شمالي مدينة الرياض آنذاك. وبُني القصر بالطين المخلوط بالتبن، وزينت جدرانه بالجص الأبيض، واستخدمت فيه العروق الخشبية أيضاً، وهو يتألف من طابقين. ولأن هذا القصر محاطٌ بأبراج مربعة الشكل من جهاته الأربع، فقد عُرف بالقصر المربع. ورُكب في هذا القصر مصعد كهربائي في أواخر عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه (الكليب ١٤١٠: ١٠٠). وتمت في رحاب هذا القصر وفي قاعة الاستقبال الكبرى، لقاءات واجتماعات ووُقع عدد من الاتفاقيات بين الملك عبد العزيز وكثير من ملوك ورؤساء الدول.

فناء قصر المربع بالرياض وتظهر فيه الأقواس

وكان من أهم عناصر البناء في قصر المربع سوره المنيع المبني من الطين المسلح بالأخشاب والحجر، ويصل ارتفاعه إلى سبعة أمتار. وقد دُعِّم ذلك السور المنيع بأبراج مربعة الشكل يرتفع نصفها الأعلى عن أعلى السور، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٦ إلى٧ م. ويبرز جزء من هذه الأبراج خارج خط السور وداخله. وفي السور من الناحية الجنوبية بوابتان كبيرتان

سمي القعد بالمربع لإحاطته بأبراج مربعة من جهاته الأربع

رئيسيتان، تفضيان إلى خارج السور. ويقوم عليهما حراس أشداء، يقيمون في الجزء العلوي من البوابة. وتسمى إحدى هاتين البوابتين الدروازة الجنوبية أو الدروازة الكبيرة، وهي المدخل المخصص للملك عبدالعزيز والداخلين إلى القصر من الرجال فقط، وهي بالقرب من القصر الرئيسي للملك عبدالعزيز، وتسمى أيضاً دروازة الذيب، نسبة إلى المرحوم محمد بن عبدالله الذيب، الضابط المشرف على هذه البوابة. أما البوابة الثانية ففي منتصف السور الجنوبي، وتسمى الباب الجنوبي أو (دروازة العناني) نسبة إلى الضابط المشرف عليها عبدالله العناني. وقد تسمى باب الحريم، لأن تلك البوابة مخصصة لدخول النساء. وهناك بوابة ثالثة وسط السور الغربي تسمى (البوابة القبلية). أما البوابة الرابعة ففي السور الشمالي مما يلي القصر المعروف بالقصر الشمالي، وتسمى البوابة الشمالية أو (الدروازة الشمالية).

فناء قصر المربع الذي تطل عليه غرف المنزل

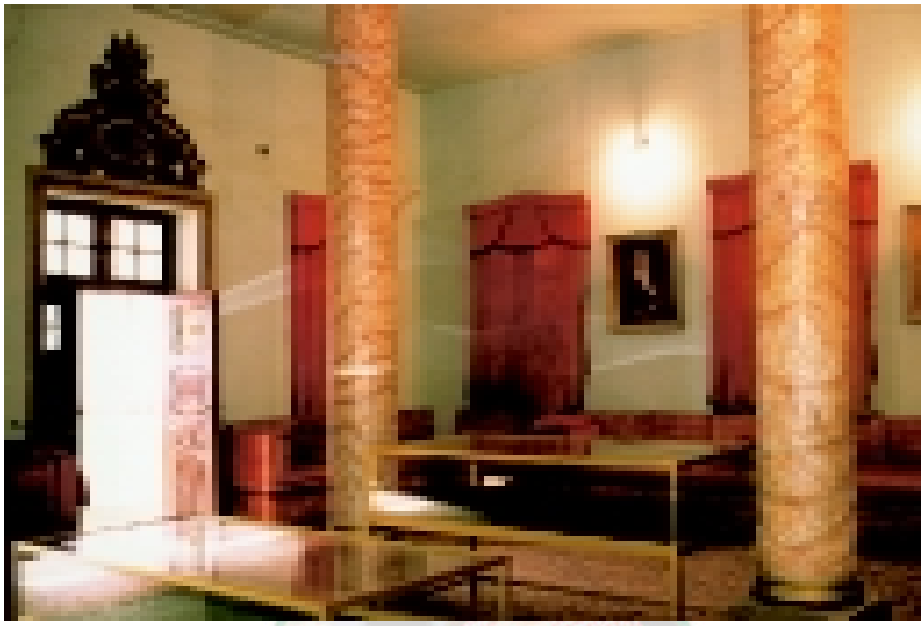

إحدى القاعات في قصر المربع

والجدير بالذكر أن جميع هذه البوابات كانت تغلق ليلاً وتفتح نهاراً طيلة حياة الملك عبدالعزيز، سواء كان الملك بالقصر أم خارجه، في حلّه أو سفره. ولهذه البوابات جميعها حراس أمناء مكلفون بالإقامة فيها ليل نهار، وهم من الشرط والحرس الملكي.

والمعلوم أن أهم عامل يؤثر في اختيار المواقع السكنية هو تحديد اتجاه نمو المدينة والقرب من الأودية، والشكل العام. وهذا هو ما حدد موقع مجمع قصور المربع، وما حوله من قصور أخرى تماماً؛ فهي في بقعة شكَّل وادي حنيفة، وروافده ووادي البطحاء ووادي أَلَيْسَن، مع التلال الصخرية المرتفعة والمنخفضة الواقعة إلى الشمال والغرب، الخطوط الطبيعية التي تحدد مسار النمو العام لها.

وتقوم داخل مجمع قصور المربع ثلاثة جسور، وهي ممرات تحمل على أعمدة من الأحجار، ومسقوفة بالأخشاب. وكان الغرض منها ربط هذه القصور بهذه الجسور ليمر منها الملك عبدالعزيز عندما يذهب إلى المسجد، أو عندما يريد أن يذهب إلى بعض عوائله في القصور الأخرى.

فالجسر الأول، في الجهة الغربية، ويتجه غرباً ليخترق بعض القصور والمرافق الأخرى. والمدخل الرئيسي

للقصر أسفل هذا الجسر مباشرة. ويتجه الجسر الثاني مباشرة من القصر إلى المسجد في الجهة الجنوبية، ولهذا الممر نوافذ توفّر الإضاءة. أما الجسر الثالث ففي الجهة الشمالية، ويصل القصر الأوسط بالقصر المسمى بالقصر الشمالي حيث مقر الملك عبدالعزيز ومكان مبيته الليلي (الرويشد جريدة الرياض ١٤١٩هـ ع:١٠٩٣٣).

قصور أبناء الملك عبدالعزيز بالرياض.

في عام ١٣٦٠هـ، أمر المغفور له الملك عبدالعزيز وكيله المشرف على بناء القصور آنذاك، حمد بن قباع، ببناء خمسة قصور لبعض أبنائه في بساتين الفوطة في الرياض القديمة، مواجهة لمجمع قصور المربع من الناحية الجنوبية. على أن تكون هذه القصور على شكل واحد وطراز مماثل، ومساحتها واحدة ومرافقها متشابهة، يفصلها عن مجمع قصور المربع ساحة كبرى مستطيلة.

وبعد اكتمال تلك القصور عام ١٣٦١هـ، يذكر عبدالرحمن الرويشد أنَّ الأول منها من الناحية الغربية خصص لصاحب السمو الملكي الأمير مشعل ابن عبدالعزيز، وهذا القصر -اليوم- في المستوصف الحكومي الكائن في مدخل شارع آل سويلم من الناحية الشمالية وما حوله، حيث يتقاطع مع شارع الإمام فيصل بن تركي (الخزان سابقاً). أما القصر الثاني فقد خصص لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، شرقي القصر الأول يفصل بينهما طريق أو ممر بعرض ١٠م. وخصص القصر الثالث لصاحب السمو الملكي الأمير مساعد بن عبدالعزيز، ويفصل بينه وبين قصر الأمير سلطان طريق أو ممر أيضاً مماثل للطريق الأول. يليه قصر رابع خصص لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالمحسن بن عبدالعزيز، ويفصل بينه وبين سابقه ممر بعرض ١٠م. أما القصر الخامس الذي يقع شرقي هذا القصر فكان من نصيب حفيد الملك عبدالعزيز، صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سعود بن عبدالعزيز، وموقع هذا القصر اليوم الناحية الغربية من شارع الظهيرة في تقاطعه مع شارع الخزان (جريدة الرياض ١٤١٩هـ. ع:١٠٩٢٣).

وجدير بالذكر أن أبناء الملك عبدالعزيز الكبار من الرعيل الأول كانوا يسكنون في أماكن متفرقة من بلدة الرياض القديمة أو خارجها. فالأمير سعود، وهو أكبر الأبناء، كان يسكن في قصر من الطين بجوار مجمع قصور المربع خلف السور من الناحية الجنوبية.

ولا يختلف بناء هذا القصر عن القصور الأخرى غير أنه -رحمه الله- بنى قصراً من الإسمنت المسلح خلف قصره القديم بعد وفاة والده، وأطلق على ذلك القصر اسم قصر الحمراء أو القصر الأحمر. ثم انتقل بعد ذلك إلى قصوره في بساتين الناصرية، وترك القصر الأحمر ليكون مقراً لمجلس الوزراء في السنة التي تولى فيها الحكم عام ١٣٧٣هـ.

كذلك شيد الملك عبدالعزيز في حياته قصراً لابنه الثاني الأمير فيصل، وكان يقع في منتصف الطريق بين البلدة القديمة، ومجمع قصور المربع. وهو قصر جميل يمتاز ببعض فنون البناء التقليدية، غير أنه في شكله العام وعناصر بنائه لا يختلف عن القصور الأخرى. شُيِّد ذلك البناء على جزء من بساتين تدعى نخيل أم القبيس؛ ولم يتمكن الأمير فيصل من الانتقال إلى ذلك القصر نظراً لعمله نائباً لوالده في الحجاز. فخصص ذلك القصر في حياة الملك عبدالعزيز داراً للضيافة الخاصة في بعض الفترات، ثم جُعل مقراً للمعهد العلمي في الرياض. كما اشترى الملك عبدالعزيز لابنه الثالث، الأمير محمد، قصراً كان يملكه أحد موظفيه الكبار، وقد بناه على طراز متقدم نوعاً ما، وهو جنوب الرياض في الحي المعروف بالوسيطاء جنوب بلدة الرياض القديمة. كما شيد قصراً جديداً لابنه الأمير خالد في بساتينه المعروفة باسم الفوطة، ومقر ذلك القصر اليوم في المكان المعروف بعمارة الملك في شارع الإمام فيصل بن تركي (الخزان سابقاً).

وخصص الملك عبدالعزيز لابنه الخامس، الأمير سعد بن عبدالعزيز، قصراً شُيِّد باللبن والطين، غربي البلدة القديمة؛ ثم ابتنى له قصراً آخر قرب قصور الفوطة بينها وبين قصر المربع من الناحية الشرقية.

أما الابن السادس من أبناء الملك عبدالعزيز، وهو الأمير ناصر، أمير الرياض، فقد اختار له قصراً مناسباً بناه أحد الأثرياء في حلة آل حماد الجديدة، فاشتراه الملك عبدالعزيز ووهبه للأمير ناصر.

وكان الابن السابع الأمير منصور بن عبدالعزيز وزير الدفاع فيما بعد، ورئيس القصور والحرس الملكي، قد خُصص له بناء في داخل أسوار المربع وبالتحديد في الزاوية الغربية الجنوبية، بجوار قصر المربع.

واختير للأمير فهد (خادم الحرمين الشريفين) أحد القصور السكنية داخل البلدة، وكان أحد الأثرياء قد شيده،

فاشتراه منه، وهو في الجزء الشرقي من البلدة القديمة في حي الحله ثم انتقل الأمير إلى أحد القصور التي بنيت حديثاً في شمال البلدة القديمة في حي الغراوية. ومنه انتقل إلى قصر فسيح بني على الطراز الحديث على ضفة وادي البطحاء قرب وزارة المالية والاقتصاد الوطني اليوم، وذلك بعد وفاة الملك عبدالعزيز.

وكان الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، يسكن داخل قصر الملك عبدالعزيز القديم، ثم منحه الملك عبدالعزيز إحدى الدور التي يمتلكها خارج القصر، وتقع جنوبي قصر الديرة مباشرة.

وقد شيد الملك عبدالعزيز، بعد فترة وجيزة من بناء قصور الأمراء في حي الفوطة، قصوراً أخرى تماثلها في النمط والعناصر، لتكون مقراً لأبنائه وأحفاده. فخصص مساحة كبيرة في الجزء الغربي الجنوبي من مجمع قصور المربع، ليبني عليها خمسة قصور مماثلة لقصور أبنائه التي بُنيت في الفوطة، وهي على التوالي من الشمال إلى الجنوب: قصر الأمير بندر بن عبدالعزيز، ثم قصر الأمير مشاري بن عبدالعزيز، ثم قصر الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز، ثم قصر حفيده الأمير فهد بن محمد بن عبدالعزيز.

وكان القصر الخامس للأمير متعب بن عبدالعزيز، ويقع على الشارع المسمى اليوم بشارع الإمام فيصل بن تركي (الخزان سابقاً). وشكلت هذه القصور، مع القصور الأخرى، شبه زاوية قائمة تمتد شرقاً وشمالاً. وهي في مرتفع حي الشام، ويقابلها من الشرق ساحة كبرى بين قصور المربع من الشمال، وقصور الفوطة من الجنوب؛ ويحدها من الغرب هذه القصور الحديثة، ويفصل بين كل قصر وآخر طريق أو ممر يقدَّر عرضه بنحو ١٠م. وأصبحت تلك القصور جاهزة للسكنى عام ١٣٦٤هـ. (جريدة الرياض١٤١٩هـ ع: ١٠٩٢).

العناصر المعمارية والفنية في القصور.

تكاد العناصر المعمارية تتشابه إلى حد كبير في كل هذه الأبنية والقصور، وخصوصاً في مجموعة قصور المربع، فقد أشار الرويشد إلى أن القصر أو السكن في مجموعة قصور المربع يتكون من أربع واجهات داخلية، تطل مباشرة على الفناء الداخلي من خلال طرقات ممتدة محمولة على أعمدة تمتد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. وقد طليت جميع الواجهات الداخلية وسترة الممرات بالجص الأبيض. وتطل على الممرات نوافذ الغرف، تعلوها مجموعة من الزخارف الغائرة.

ممر محمول على أعمدة تطل عليه الغرف الداخلية، مع طلاء الواجهات بالجص الأبيض

الطريق المحمول المطل على الفناء الداخلي في أحد قصور الرياض

وعلى السترة المطلة على الفنـاء صف من الشرفات المتـناسقة. وترتفع هذه الـسترة حوالي ١,٥م، ويـشبه الطابق الـداخلي الأول الطابق الأرضي. ويحـيط بسطوح القصور في مـجمع المربع والأبنية المعـدة للسكن، سترة من جميع الجهات بارتفاع ٢,٣٠سم، ويعلوها صف من الشرفات المكسوة بطبقة من الطين المخلوط بالتبن. وربما زُينت بعض شرفات القصور بكسوة من مادة الجص الأبيض، وربما كان في أعلى السترة قبيل الشرفات مجموعة من الفتحات تساعد سكان القصر على الاطلاع والمراقبة لمن هو خارج القصر. ويتم الوصول إلى السطوح فـي القصور والمساكـن بواسطة درجات مبنية بالطين واللبن، بعضها فوق بعض.

ويغلب على مجموعة قصور المربع المعدة لـلسكن، أن يـكون لكل وحدة سكنية أربع واجهات. ويكون ارتفاع كل وحدة حوالي ١٣-١٤م مبنية من الطين وقـوالب الـلَّبْـن المجفـف. وكسـيت

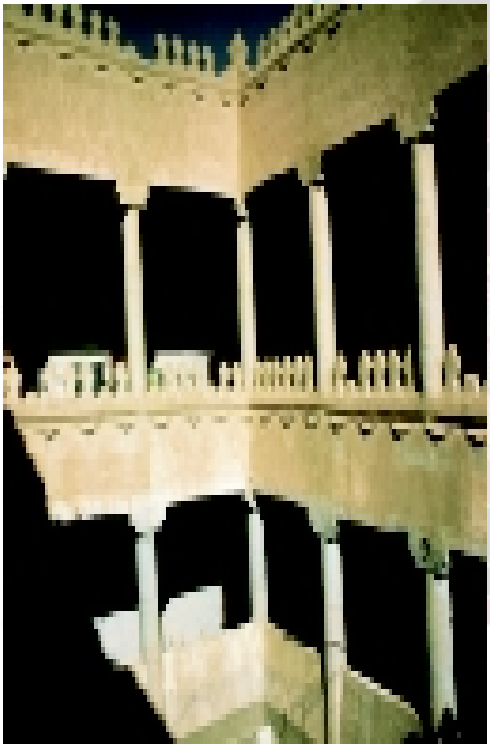

سترة مطلة على الفناء بها صف من الشرفات

رقائق من الخشب تغطي واجهة بعض الغرف

الواجهات جميعهـا بطبقة مخلوطة من الطين المضاف إليه مادة التبن. وقد جرت بعض التعديلات على تلك القصور في سنوات لاحقة استخدمت فيها مواد البناء الحديثة، مثل الإسمنت المسلح والبلاط وتغطية الأسقف من الداخل برقائق من الخشب، وتـغطية الواجهـات الداخلية للفناء الـداخلي بالأسمنت والبوية ومـا أشبه ذلك.

وتتوج سترات البناء العليا غالباً بصف من الشرفات، على شكل ثلاثة فصوص أحدها قائم. ويكون على حيطان واجهة القصر أو الوحدة السكنية عدد من النوافذ الخشبـية معقودة الـشكل؛ وهي تفـتح وتغلق بواسطة مصراعين (دلفتين)، وهي مصنوعـة من خشب مزخرف بأشـكال هنـدسية غـائرة، وقد أغـلقت بـساتر زجاجـي شفاف يمـنع دخول الأتـربة، ويساعد على إضاءة الحجرات الداخليـة للقصر.

أما المدخل الرئيسي للوحدة السكنية فهو غالباً في إحدى زوايا القصر أو السكن،

النوافذ الخشبية والمثاعب في القصور

الحدائر أو أشرطة المثلثات البارزة في واجهات القصور

ويفتح على الواجهة. وهو مصنوع من الخشب الصامت الصلب، وهو من مصراعين (دلفتين) مزخرفتين بزخارف هندسية بارزة وغائرة. وتتقدم المدخل الرئيسي مظلة تقوم على عمودين مثبتين ومخفيين في الحائط، وهي تساعد على تماسك المدخل وقوته. وتُزيِّن جدران الواجهات أشرطة من المثلثات البارزة من الطين في الدور الأعلى من القصر، وربما في الوسط كذلك، وتسمى الحدائر.

وعموماً فإن تلك القصور التي تحدثنا عنها، ومن أهمها مجمع قصور المربع، ذات وصف واحد. فقد أُنشئت جميعها بأسلوب البناء نفسه الذي كان متبعاً في وسط الجزيرة العربية آنذاك، وهو استخدام أساسات الأسوار من الحجر الدبش الرملي والطين المخلوط بالتبن، وقوالب اللبن المجفف بالشمس، مع استخدام أخشاب الأثل للسقوف المحمولة على أعمدة من الحجر، على شكل خرزات مستديرة بعضها فوق بعض، ثم كساء تلك الأسوار والحيطان من الداخل والخارج بطبقة من الطين المخلوط بهدب الأثل أو التبن. وبعد الجفاف يتم طلاؤه من الداخل بطبقة من الجص، وهو أسلوب يمثل استغلال المواد المحلية المتوافرة في البيئة لتناسب السكان. فاللبِّن والطين وأخشاب الأثل والحجر الرملي كلها مواد متاحة، وكلها مواد عازلة للحرارة في فصل الصيف، مانعة لدخول البرودة في فصل الشتاء.

ولتلك القصور مداخل خارجية تقع غالباً في الزوايا، وتفتح وتغلق بواسطة أبواب خشبية ضخمة. وتؤدي تلك الأبواب إلى مداخل منكسرة تُفْضي إلى فناء واسع تحيط به ممرات محمولة على مجموعة من الأعمدة المكونة من الخرزات الحجرية المدورة والمكسوة بطبقة من الجص.

ويحتوي كل قصر من تلك القصور على عدد من الغرف مختلفة الأحجام في الطابق الأرضي، ومثلها في الطابق الأعلى. ويتبع البناء ردهة واسعة مكشوفة تسمى الحوش تكون في العادة من دور واحد، وتكون بمعدل ثلث البناء المقام للقصر، وبه عدد من المرافق والغرف ومطبخ كبير ومستودع للمواد المستهلكة في صناعة الطبخ ومستودع للأطعمة وغرف أخرى لغسيل الثياب والمنافع الأخرى (جريدة الرياض ١٤١٩ ع:١٠٩٣).

اشتملت قصور المربع على كثير من العناصر والمكونات الفنية، نظراً للتطور الكبير الذي طرأ على طرق البناء، وقد رصد عبدالرحمن الرويشد هذه العناصر والمكونات واللمسات الفنية؛ فذكر أن أهم العناصر المكونة لعمارة تلك القصور العناية بالتهوية والإضاءة، فقد اشتمل الكثير منها على عدد كبير من النوافذ والفتحات على الواجهات الخارجية والخلفية، ولم يكن هذا النمط معروفاً في البناء المحلي لمدينة الرياض القديمة.

وتميزت بوجود الطرقات المحمولة المحيطة بالفناء الداخلي أو بأكثر جهاته في تلك القصور، إذ تقوم تلك الطرقات على مجموعة من الأعمدة وتشرف مباشرة على الفناء، وتكون تلك الطرقات في الغالب مسقوفة بسقف مطابق ومماثل لموازيه في الطابق الأرضي.

ويلاحظ أن جميع أسقف تلك القصور مستوية، لم تستخدم فيها القباب أو التمايز، سواءً أسقف الحجرات أو أسقف الممرات، وجميع الأسقف مصنوعة من خشب الأثل وسعف النخيل المغطى بطبقة من الطين المخلوط بالتبن أو هدب الأثل.

ومجمعات القصور ذات الهدف الواحد والاستعمال الواحد، يرتبط بعضها ببعض غالباً بجسور محمولة تؤدي لغرض مباشر. فقد كان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- يذهب من قصره إلى المسجد عن طريق هذه الممرات الممتدة بين القصر وقصور عائلته وبعض المنشآت الأخرى. وكان هذا النظام سائداً في القصر القديم، وكان أول من أحدث

نظام الممرات العلوية، للاتصال بين المنشآت السكنية وغيرها، الإمام فيصل بن تركي -رحمه الله- بعد أن اغتيل والده وهو في طريقه من المسجد إلى القصر القريب منه. فكان أن عمل ممراً علوياً محمولاً على أعمدة من القصر إلى المسجد.

ولعل من أهم العناصر الإنشائية في تلك القصور، الأعمدة والأساطين التي تحمل الأسقف. وهذه الأعمدة من أحجار رملية دائرية الشكل تسمى خرزات، يجعل بعضها فوق بعض، ثم تكسى بطبقة من الجص. وتستخدم هذه الأعمدة في المجالس وفي الغرف الكبيرة وفي أفنية القصور. ويغلب أن تشتمل ذروات تلك القصور، لا سيما ما يشرف منها على الشوارع العامة مباشرة، على مجموعة من الطرم؛ وهي بناء يبرز عن سمت الذروة، ويستند إلى روابط خشبية، وتكون تلك الطرم على مداخل الأبواب وعلى الواجهات وجدار سترة السطح. وقد استخدمت في مجموعة تلك القصور، الأبواب والنوافذ المكونة من ألواح الخشب المزينة بالزخارف الهندسية البارزة والغائرة. وهي من مستحدثات عناصر البناء، التي استجدت أثناء فترة إنشاء مجموعة قصور المربع وما بعدها. كما استُخدمت مادة الجص المحروق -بعد إتمام سحقه وتصفيته- في عناصر البناء داخل هذه القصور، فغطيت به جدران الحجرات من الداخل، وبعض الواجهات الداخلية المطلَّة على الأفنية. واستخدم الجص أيضاً في المجالس الكبيرة، وبناء المواقد التي تستخدم لعمل القهوة، وفي مادة الزخرفة الغائرة. واقتصرت تلك الزخرفة على قاعات الاستقبال، وبعض قاعات المداخل، وإطارات على الأبواب والمداخل والنوافذ، وشرفات الأسطحة، وتيجان الأعمدة. وقد تُلون بعض تيجان أعمدة المجالس والصالات المهمة بألوان زاهية من مادة طلاء البوية.

وكانت وسائل تصريف المياه في مجموعة قصور المربع، وغيرها من القصور، وسائل عادية موحدة. فيتم تصريف مياه الأمطار الساقطة على سطوح المباني عن طريق الميازيب (المرازيم) الخشبية، التي تنتشر على الواجهات، وتساعد على انزلاق المياه المنهمرة إلى خارج القصور والمباني. أما تصريف المياه الاستهلاكية الناتجة من الاستعمالات المختلفة لأغراض النظافة وغسيل الأطباق والأواني والملابس، فإنها تُصرف بواسطة مجار مغطاة ومطلية من الداخل بنوع من

الـفخـار المُصَّـنع، والمـسمـى بالجـص الأخضر، إذ يحرق اللبِّنْ ويسحق وينعم ثم يخـلط خلطاً جيـداً وقبل أن يجف يُضرب بسعف الـنخل الرطب مع رشه بالماء على دفعات حتى تتحجر تلك المادة الفخارية، وتصبح مجاري آمنة لا تتسرب منها المياه. وتمتد هذه المجاري من أماكن الاستعمالات إلى فوهات حفر مربعة أو مستطيلة الشكل مغطاة بالحجارة، وتكون وسط الفناء أو خارج المنزل. فتتلقف تلك المياه وتمتصها، وقل أن يتطلب الأمر فتح تلك الحفر إلا إذا كانت الأرض المحفورة صخرية. وتسمى هذه الحفر الـبلاعة أو البالوعة، وجمعها بلاليع وبلاعات.

وعلى الجـملة فإن كـل المباني فـي مجموعة قصور المربع وما حولها، ذات أشكـال هندسـية مربعـة ومستـطيلـة. ويلاحظ أن كل وحدة سكنيـة في تلك القصور تتـشابه في الأشكال الهنـدسية والزخرفية للواجهات والمداخل والأفنية والأعمدة والشرفات والأبـواب وتيجان الأعمدة والأسقف الداخلية والأساطين والسـلالم والطرم، والـزخرفة الغـائرة والبارزة للأعمال الخشبية، وأعمال الجص وتكاد تكون واحدة، لكنها تتفاوت وتمتاز بإتقان الـيد التي عملت تلـك العناصر (جريدة الرياض ١٤١٩ ع: ١٠٩٣٠).

البيوت

في هذا الجزء سـوف نعرض لأهم العناصر المعمـارية المكونة لعمارة المنزل في المنطقة الوسطى، وتأثيرها على عمارة المنطقة نفسها. وكيف أن المنزل تأثر بشكل مباشر بهذه العناصر، وتشكل وفقاً لها. والأهم من ذلك معرفة مهارة المعماري المحلي في تطويعه لتلك العناصر لتنسجم مع طبيعة البيئة المحيطة ورغبة السكان. ففي ضوء أهـمية مراعاة ظروف الـبيئة ظهرت عـناصر معماريـة تنم عن فهم المعماري المحلـي وإدراكه لأهمية المنزل ودوره. فكانت الرغبـة ملحة في تهيئة المنـزل للظروف الـدينية والاجـتماعيـة والثقافية والاقتصادية والطبيعية المحيطة.

يُركز المعماري المحلي في التخطيط الرئيسي للمنزل على وحدة الإطار العام التي تربط المنازل بعضها ببعض، والتي تعد قـاعدة لا بد من وضعهـا كأساس لتخطيط المنزل. والمقصود بوحدة الإطار العام وجود عناصر معمارية أساسية في التخطيط لا بد من وجودها، مثل عنصر الحركة والاتصال (المداخل والمـمرات)، وأماكن الاستقبال (المجالس)، وحجرات المعيشة والأفنية والمـنافع؛ بالإضافة إلى اعتبارات ومؤثرات تتحكم فـي تخطيط المنزل في المنطقة الوسطى، أهمها المكان

الذي شُيد فوقه المنزل، وقدرة صاحبه المادية، مع تأثير العوامل الدينية والاجتماعية، ومادة البناء المستخدمة. ففي ضوء هذه العوامل يتشكل تخطيط المنزل في المنطقة.

وقد حاول المعماري المحلي بفنه وذكائه إخضاع تلك المؤثرات إلى حد بعيد لحاجات السكان. ولو أخذنا على سبيل المثال مسقطاً لأحد المنازل لوجدنا أن بعض المنازل تحكمت في تخطيطه المساحة المتاحة وقدرة صاحب المنزل المادية، إلاّ أن المعماري وضع نصب عينيه كذلك ضرورات دينية واجتماعية تحكمت بشكل مباشر في التخطيط. فقد رُسمت مخططات المنازل وفق تلك الضرورات، ونتج عن ذلك ابتكار واستحسان عناصر تخدم هذه الضرورات، كالمداخل المنكسرة التي لا تمكِّن الطارق أو المارة في الطريق من رؤية مَنْ بداخل المنزل. وكان هذا العنصر ضرورياً لاعتبارات دينية واجتماعية. كما حرص المعماري أن تكون المداخل الخارجية غير مقابلة لمداخل منزل الجار المقابل، بهدف تجنب كشف خصوصية المنزل، وكذلك محاولة الفصل بين مدخل الرجال ومدخل النساء بحيث يكون مدخل الرجال في طرف الواجهة الرئيسية، بينما يكون مدخل النساء في الطرف الآخر من الواجهة، أو في الواجهات الأخرى للمنزل إن وجدت. وانعكس هذا أيضاً على توزيع الوحدات المعمارية الداخلية، فقد اختار المعماري المحلي موقع مجلس الرجال (القهوة) بعيداً عن بقية الوحدات المعمارية الأخرى، فكانت المجالس في أغلب الأحيان في مقدمة المنزل، وذات مداخل وممرات مستقلة، تمكن الزائر أو الضيف من الدخول إليها دون حرج.

كما أن للظروف الطبيعية، كالتضاريس والمناخ، أثراً على تخطيط المنزل. فالمعماري اتبع معالجات حَدَّتْ من تأثير تلك الظروف، وهذا يتضح من ارتفاع المباني وتلاحمها لمقاومة عوامل التعرية، وكذلك الطرقات المتعرجة، والسباطات (الطرمات). كما وزّع المعماري الوحدات السكنية الداخلية توزيعاً جيداً حسب أغراضها. فهناك وحدة معمارية خاصة بالرجال، وأخرى خاصة بأفراد الأسرة تضم حجرات المعيشة وحجرات تخزين الطعام، ووحدات معمارية مستقلة تشمل ملاحق المنزل، كالمطابخ والمراحيض وحظائر الحيوانات والبساتين. وروعيت الأحوال المناخية كذلك في تخطيط المنزل؛ إذ حاول المعماري الاستفادة من الممرات

والدهاليز الضيقة داخل المنزل وخارجه في استقبال الرياح عن طريق ملاقف تقوم بمهمة سحب الهواء وتبريده عبر هذه الممرات، وتوزيعه على أجزاء المنزل الداخلية. بالإضافة إلى عنصر الفناء الذي ساعد في تلطيف درجة الحرارة بزرعه بمساحات خضراء وتزويده بمياه متحركة. وبهذا أصبح هذا العنصر في تخطيط المنزل محور التخطيط باعتباره يقوم بعدة مهمات من شأنها تحقيق رغبة السكان.

ومن الناحية الأمنية يُراعي المعماري وجود عناصر دفاعية، كالسقاطات والمزاغل (الفتحات) على واجهات المنازل. كما أن كتلة البناء توحي، لارتفاعها وضخامتها وسمك جدرانها، بأنها قلعة.

وتنقسم الوحدات داخل المنزل بدءاً من الدور الأرضي وانتهاءً بالسطح، إلى أربعة أقسام، هي القبو والدور الأرضي والدور الثاني ثم السطح. أما القبو فهو عنصر معماري قليل في عمارة المنطقة الوسطى، ولكن أول ما يبتدئ به المعماري هو الجزء الذي يريد وضع القبو به، وهو مشابه للخلوة في المسجد (سميت بالخلوة لأن المتعبدين يخلون فيها لعبادة ربهم). ويستخدم القبو غالباً في فصل الشتاء، خاصة عند اشتداد البرد. فيصبح مجلس أهل البيت الرسمي، ويكون فيه مطعمهم ومشربهم.

ويكون الدور الأرضي غالباً مكاناً للخدمات، فهناك الصفاف والمجابيب والصهاريج والمخازن والحصص والملاحق، مثل حوش الماشية وصفف تخزين الأعلاف. أما الدور الثاني فتكون به غرف المعيشة وتسمى الرواشين، بالإضافة إلى غرف النوم والمطبخ والمصابيح (بطن الحوي)، وغرفة لتخزين المواد الغذائية. وكذلك قسم الرجال الذي يكون معزولاً أو منفصلاً عن بقية المنزل، وهو مجلس ملحق به خارجة يجلس بها الضيوف عندما يكون الجو لطيفاً.

والقسم الرابع هو السطح أو الطايه، وترتفع جدران السطوح غالباً أعلى من قامة الرجل، لكي لا يكشف مَنْ بالسطح جيرانه؛ وتكون الأسطح عادة مقسمة، فهناك أقسام خاصة لرب العائلة، وأقسام للذكور من الأولاد، وأقسام للبنات. وفي معظم المنازل غرفة في السطح تسمى المفضوخ، تستخدم لحفظ الفرش عقب الاستيقاظ من النوم. بالإضافة إلى وجود زير للشرب، بعيدٍ عن حرارة الشمس.

أنماط البيوت في المنطقة الوسطى

يعكس المسكن التقليدي التوازن المطلوب بين توفير الخصوصية لأصحاب المنزل، والاتصال مع الجيران وغيرهم. فالبيت التقليدي مثلاً لا يحوي إلا فتحات قليلة على الشارع، ويرجع ذلك لأسباب مناخية واقتصادية وأمنية. فمعظم هذه المساكن شيدت خلال ظروف اقتصادية ليست رخية (قبل عهد النفط)، عندما كان الناس لا يستطيعون شراء الأخشاب اللازمة لعمل إطارات النوافذ ومصاريعها. ولذلك زودوا بيوتهم بفتحات قليلة للحفاظ على الدفء داخلها. كما أن معظم البيوت القديمة صممت رأسياً بفراغات للاستخدام على الطابقين والسطح، بسبب أنها شيدت على قطع صغيرة من الأرض، وتبنى متلاصقةً، لمقاومة الرياح، ولتوفير الظل، ومراعاة للناحية الأمنية.

ويوجه السكن عادة إلى الداخل (الفناء)، لحماية خصوصية النساء وتوفير الراحة والحرية لهن. كما يُشكل مدخل النساء في البيت، مع مداخل النساء في بيوت الجيران، فراغاً شبه خاص حول شارع غير نافذ، أو فناء صغير تجتمع فيه نساء الجيرة لمراقبة الأطفال خلال لعبهم. ويُمثل مدخلُ الرجال ومجلسهم عناصر بارزة من حيث الحجم والتجميل والانفتاح والبروز على شارع نافذ. وكل ذلك رمز للكرم ودعوة إلى اللقاء مع الضيوف.

والمسكن موجه فراغياً ووظيفياً بحيث يكون مستقلاً. ويحتوي على أماكن لإعداد الطعام وخزنه، وتوفير قدر من الوقود والطاقة المستخدمة في الطبخ. ويتيح لسكان المنزل تربية الطيور الداجنة والحيوانات الأليفة كالبقر والغنم والماعز التي توفر لهم اللحم ومنتجات الألبان والسماد والوقود للطهو والإضاءة. كما يُزرع في فناء المنزل النخيل وبعض أشجار الفاكهة الأخرى كالرمان والعنب، وكذلك الطماطم والقرع والبطيخ والباذنجان لتوفير بعض احتياج الأسرة من الخضراوات والفواكه وغيرها. وتوجد في بعض المنازل آبارٌ للمياه.

وتتصف المساكن في المنطقة الوسطى بأنها فنائية، أي أن أغلبية المجالس والغرف تحيط بفناء أو أكثر. ويعود ذلك إلى متطلبات اجتماعية وأمنية ومناخية؛ لذا نلاحظ قلة اتساع الفتحات الخارجية وصغر حجمها، حتى إنها لا تتسع لدخول الإنسان ولكنها تقلل من دخول الشمس والغبار وتحمي حرمة المنزل. وتُعد المساحة السكنية للمنازل التقليدية

صغيرة بالمعـايير الحالية، إذ تتراوح بين ٥٠-٢٠٠م٢ وأغـلبـيتـها لا تـتعـدى ١٠٠م٢. ونادراً ما تكون المساحات المبنية المتجاورة متساوية أو منتظمة الشكل. أما الفناء فيستحوذ على جزء كبير من المساحة الكلية.

وقد مر بـلغريف بقريـة التويم في رحلته إلى الرياض فأعطى وصفاً لمبانيها جاء فيه أن المنازل متلاصـقة ومبنية بناءً محكماً من طابقين في الغـالب الأعم، وأحيـاناً ثلاثة. ويـتراوح ارتفاع غـرف الطابق الأرضي بين خمسـة عشر وستة عشر قدماً، والـعلوي بين عشرة واثني عشر قـدماً بينما الـسطح نفسه مـحاط بحاجز يبلغ ارتفاعه ستة أقدام أو أكثر... وهناك محاولات قليلة لتجميل المباني. ومن الصعوبة ملاحظة التجانس بين منزل وآخر، فإن وجد فهو محض مصادفة. والشوارع ضيقة ومتعرجة وأغلبها أزقة، ولا أحتاج للقول إنها في هذا الجو غير الممطر نادراً ما تحتاج إلى رصف إلاّ في حالات محدودة (نصر ١٩٩٥: ٩٧).

وأغلب المنازل من دورين، ولكنـها قد تُبنى من دور أو ثلاثة أدوار، ويؤوي كثير من المـنازل عوائل مركبة. وتحوي بعض المنازل طابقاً تحت الأرض (الخلوة أو الدباب).

وتنقسم الدار إلى قسمين أو ثلاثة، تشمل قـسم الرجال (الضيوف) وقسـم العائلة والنساء. وتحتوي أكثر المنازل على قسم ثالث، ويسـتخدم لتربية الحيوانات والدواجن والـزراعة. ويتبـع كل قسم مدخله الخـاص به، كمدخل الرجـال، ومدخل النساء والعائلة، ومدخل الماشية. ويحتوي كل جزء من هذه الأجزاء على مجموعة من الغرف والفراغات الخاصة به، التي تمتاز باسـتـخدامات ومساحات وارتفاعات وتسميات تلائم وظائفها.

قسم الـرجال. ويشمـل هذا القسـم الأجزاء التالية:

المدخل: تشمل منطقة الرجال المدخل والليوان والقهوة والفناء وبعض المخازن. يعد مدخل الرجال أحد العناصر الأساسية التي تُعبر عـن الكرم، وأهمية استقبال الضيوف لدى صاحب الدار، بغض النظر عن شخصيـة القادم أو مكانته. لذلـك يُستعمل أفضل أنواع الخشب لصناعة باب الرجـال، وزخرفتـه بأجـمل النـقوش والألوان وبعض القطع الحديدية. ويصمم المدخل ليُحقق خصوصية المنزل عن طريق التوجيه غير المبـاشر بصرياً. ويتم ذلك باستخدام سترة (جدار) بارتفاع مترين تقريبـاً، أو باستخدام التشـجير، أو أن يُجعل ممر المدخل بزاوية أو منحنى. ويقود

المدخل عادة إلى القهوة (مجلس الضيوف) فقط، عن طريق الليوان، بينما في حالات أخرى يتفرع إلى ممرين، أحدهما يتصل مباشرة بالقهوة، والآخر يؤدي إلى داخل المنزل. ويعطي التصميم الأول للمدخل خصوصية أكثر للمنزل، كما يسمح بالانفتاح على الجيران بقدر أكبر. ويستطيع صاحب المنزل، في هذه الحالة، أن يترك الباب مفتوحا في فترة توقع مجيء الضيوف، وهي ما بين صلاة العصر وغروب الشمس. وفي جميع الحالات يوحي مدخل الضيوف بالتلقائية والبُعد عن التكلُف، فالجار أو الضيف يشرع، في أكثر البيوت، في الدخول وهو ينادي باسم صاحب المنزل، أو باسم أكبر أبنائه، ويمضي حتى يصل إلى القهوة حتى لو لم يكن صاحب البيت موجودا. وبعد ذلك إما أن ينتظر، أو يبدأ بإعداد القهوة والشاي لنفسه، وكأنه في بيته.

الليوان: يتكون الليوان من الرواق (الدهليز) وحوش صغير وقبة. والرواق (السيب) هو الممر المغطى الذي يربط بين المدخل الرئيسي للرجال، والقهوة على أحد جوانب فناء الرجال، ولا يوجد هذا العنصر في المساكن الصغيرة التي ليس بها فناء. ويحتوي جانب الرواق الخارجي المطل على الفناء، على أعمدة متصلة بجدار منخفض، ارتفاعه نصف متر تقريباً، يحيط بالفناء. أما الجانب الآخر فهو جدار لإحدى غرف المنزل، وتتم زخرفته بالنقوش الجبسية، ويحتوي على فتحات داخل الجدار، بعضها نافذٌ كشبابيك، وبعضها أرفف كتب ومصاحف، وبعضها لإيداع بعض الأدوات والمقتنيات. كما أن على هذا الجانب من الرواق بعض الأوتاد (المعاليق) المختلفة، لتعليق البشوت (العباءات) والمعاطف والأسلحة ومقتنيات بعض الضيوف وغيرها. وتسمى المسامير الكبيرة أو المعاليق الأخلة (واحدها خلال). والوظيفة الرئيسية للرواق أنه ممر داخلي، وأحياناً يستعمل صالة طعام أو قهوة خارجية أو مكاناً لنوم الضيوف، خاصة خلال فصول اعتدال الطقس.

وتحتوي بعض المساكن على حوش (فناء) في قسم الرجال وقبة، أو أحدهما. ويكون الحوش عادة صغير المساحة، ويستخدم في الأوقات التي تكون فيها درجة الحرارة معتدلة، كما يوفر للقهوة التهوية والإضاءة الطبيعيتين. ويوجد بالحوش خزان ماء حجري صغير يسمى القرو، للوضوء وغسل الأيدي. وعندما يكون الحوش واسعاً، تزرع بعض الأشجار، كالنخل والرمان وغيرها،

ليُستفاد في سقيها من مياه الغسيل والوضوء. والقبة جزء من الفناء مسقوف يسمى المصباح، بين القهوة والفناء. وتستخدم القبة قهوة صيفية وربيعية، وتحتوي على موقد (وجار) ورفوف أوانٍ مبسطة، مقارنة بما يوجد بالقهوة.

القهوة: تعد القهوة أحد الأجزاء الأساسية الخاصة بالرجال، وهي معدة لاستقبال الضيوف. ويتم داخلها تحضير القهوة والشاي، لذلك سُميت القهوة أو المجلس. وتكون القهوة عادة عنصراً بارزاً للجيران، من حيث انفتاحها إلى الخارج وحجمها وموقعها وتجميلها، مما يشكل رمزاً للكرم ودعوة ملموسة إلى اللقاء مع الجيران. ومن السمات الأساسية للقهوة اتساعها وارتفاع سقفها تعبيراً عن الكرم وكثرة الضيوف، وللتهوية وطرد الدخان الناتج عن احتراق الحطب. كما تمتاز بكثرة الزخارف والنقوش، وكثرة الأرفف واحتوائها على أفضل أنواع الأثاث، مثل السجاد والمراكي التي يتكئ عليها الضيوف، وكذلك المساند ليسندوا إليها ظهورهم.

وتتصل القهوة بالخارج عن طريق الدهليز أو السيب ومدخل الضيوف. ويوجد بها باب من الجهة الأخرى للاتصال ببقية المنزل، يستخدمه صاحب

زخرفة القهوة من الداخل

المنزل وأبناؤه. وتتخذ القهوة شكلاً مستطيلاً، وتحتوي على صفين من النوافذ، أحدهما مرتفع وصغير وقريب من السقف، والآخر منخفض وكبير وقريب من الأرض. وتُطل هذه النوافذ عادة على الرواق. وعندما يدخل الهواء البارد إلى الفناء، فإنه يدخل إلى القهوة عن طريق النوافذ السفلية، ثم يطرد الهواء الساخن الملوث الخفيف عن طريق النوافذ العلوية. وبذلك يتحقق نظام متحرك من دورة الهواء، لإحلال الهواء البارد محل الهواء الساخن.

كما تحتوي القهوة على الكمار، والوجار، والدكة، التي يُختار لها أفضل أنواع النقوش والزخارف، لأهميتها في تكوين عناصر القهوة. وتوضع الدكة عادة في نهاية القهوة من الناحية اليمنى، حسب توافر الفراغ في ذلك الركن. والوجار هو المكان الذي تُعد فيه القهوة وتوقد النار، فهو فراغ مستطيل الشكل طوله حوالي ١,٢٠م وعرضه ٨٠سم، وقد يكون أكبر أو أصغر حسب مساحة الغرفة، وهو محاط بحاجز من الجص، ارتفاعه حوالي ١٥سم عن مستوى أرضية القهوة، وبداخله مروحة تدفع الهواء من خلال أنبوبة تنتهي بفتحة تحت مكان إيقاد النار، وذلك لتسهيل إشعال الوقود (الحطب أو الفحم). وكان المنفاخ يستخدم في الماضي بدلاً من المروحة. ويتم داخل الوجار إيقاد النار، وصف الدلال (جمع دلة)، والأباريق التي تُسْتخدم لتحضير القهوة والشاي، ويبتعد الوجار عن الحائط القريب منه بنحو متر، ويسمى هذا المكان بالمقيعد، ويكون مخصصاً لجلوس صاحب المنزل أو من ينوب عنه مثل أحد أبنائه الذي يقوم بإعداد القهوة والشاي. ويتحدد مكان جلوس صاحب المنزل، حسب الوضع الذي يؤهله لخدمة ضيوفه.

أما الكمار فهو مجموعة من الأرفف على هيئة صندوق، ويكون محفوراً بالحائط، نصفه داخل الجدار والآخر بارز،

كمار في قرية سدوس ويظهر المقيعد، ومتكأ الضيف على يمين صاحب البيت الذي يعد القهوة

الكمار من أهم أجزاء القهوة الذي يعتنى بزخرفته خاصة في منازل الأغنياء

ويبنى من الجص ويُحلّى بنقوش. ويكون في جزئه الأسفل حفرة يُجمع بها الرماد المتبقي من اشتعال الحطب. كما أن أعواد الحطب تُطفأ في هذا الرماد عندما يستغنى عنها. وتُصف بداخل الكمار الدلال والأباريق والأدوات الأخرى المستخدمة في إعداد الشاي والقهوة. ويرمز صف هذه الأدوات إلى الكرم واستعداد صاحب المنزل لاستقبال أعداد كبيرة من الضيوف في وقت واحد. ويحتوي الجزء السفلي من الكمار، خاصة القريب من مكان جلوس صاحب المنزل، على الأجزاء الخاصة بكل من النجر أو النقيرة، وهي حجرٌ صخري نُحتت به حفرة لدق وسحق حبوب البن والهيل، باستخدام يد من الحجر أيضاً تسمى مِرْوداً، ومخزن صغير لحفظ القهوة والهيل والسكر والشاي، وكذلك أعواد البخور.

كمار في أحد المنازل ذو نقوش بديعة

وفي القهوة الدكة، وهي غرفة صغيرة لا يتجاوز عرضها متراً واحداً، تُتخذ مخزناً للحطب وتسمى بيت الحطب. ويكون الوصول إلى هذه الغرفة عن طريق فتحة صغيرة، إما على شكل مثلث، أو قوس خلف مكان جلوس صاحب المنزل، حتى يتسنى له أخذ الحطب من الغرفة وهو جالس في مكانه. وفي سقف القهوة، خصوصاً في الجزء الذي يعلو الوجار، فتحة تسمى سَمَاوَه أو سُوَّامه أو كشافه، تُساعد على طرد الدخان الناتج عن احتراق الحطب، ولها غطاء من

الدكة في أحد قهاوي عنيزة

الخشب لإغلاقها إذا دعت الحاجة. وقد يجعل فوق الغطاء لوح من الصاج، وذلك للحماية من الشمس والأتربة والغبار والأمطار. ويتحكم في فتح السماوة وإغلاقها من مكان داخل القهوة، قريب من متناول يد صاحب المنزل وهو جالس بقرب الوجار، وذلك عن طريق حبل يربط بالكشافة ويتدلى على يسار المكان الذي يجلس فيه صاحب المنزل. وليست السماوة هي الفتحة الوحيدة المستخدمة للتهوية وطرد الدخان، بل توجد غالباً فتحات أخرى صغيرة في أعلى حوائط القهوة، ولها أبواب يتم فتحها وإغلاقها حسب الحاجة عن طريق سطح المنزل.

وفي بعض المنازل قد يوجد بالقهوة باب يؤدي إلى غرفة خاصة برب الأسرة، ليس لها فتحات عدا فتحة المدخل من القهوة. وفي هذه الغرفة يحفظ صاحب الأسرة الأشياء الثمينة الخاصة به، كما يستخدم الغرفة للنوم وقت القيلولة، لأنها تمتاز بالبرودة صيفاً والدفء شتاءً، بالإضافة إلى كونها بعيدة عن ضوضاء الأسرة في وقت النهار.

ومن أهم مميزات القهوة كثرة الزخارف التي تعبر عن ارتباط الإنسان ببيئته. وكانت العناصر المهيمنة على تفكيره وإحساسه في ذلك الوقت هي القمر والنجوم والنخيل، إذ نلاحظها على جميع مسطحات حوائط القهوة الجبسية، وعلى الدلال والأباريق، وأكواب الشاي وفناجيل القهوة، والسجاد والأثاث (المراكي والمساند)، والأبواب والشبابيك الخشبية.

قسم العائلة. يعد قسم العائلة قلب المسكن ووسطه، وهو أهم الأجزاء وأكبرها من الناحية الوظيفية. ويشمل غرف الدور الأرضي والأول وفراغاتهما، والدور الثاني إذا وجد، وكذلك الخلوة

(تحت سطح الأرض). وتتكون منطقة العائلة من مدخل خاص وفناء كبير وقبة ودهليز، ويسمى كذلك سيب أو رواق، ومطبخ، وبعض غرف النوم والمخازن، والصهروج (الحمام) في الدور الأرضي.

ويتكون الدور الأول -عادة- من غرف نوم ومصباح (رواق) وقبة وبعض المخازن، وأحياناً ملقف هواء، يسمى في بعض المناطق الفاو. ويحتوي الدور الذي تحت الأرض على خلوة وجصة وبعض المخازن. ويكون هناك عزل تام بين قسمي الرجال والنساء، لتحقيق الخصوصية الكاملة لهما.

مدخل العائلة: يتصل مدخل العائلة غالباً بشارع صغير غير نافذ (سِدّ)، أو ساحة صغيرة، يستعملان من قبل النساء والأطفال. ويُصمم المدخل على نحوٍ يمنعه من أي اتصال بصري مباشر مع المنزل من الداخل، بالأسلوب نفسه الذي يُتخذ في مدخل الرجال. وكل ذلك يحقق حماية كاملة لخصوصية المرأة، ويمكنّها من رعاية أطفالها والاتصال مع جاراتها بسهولة وراحة. أما باب المدخل نفسه فتختلف أبعاده تبعاً للاستخدام. فإن كان استخدامه لأفراد العائلة فقط، فإن أبعاده تكون مشابهة لأبعاد باب الرجال، لكنه يختلف عنه، إذ يُهتم به كما يهتم بباب القهوة الخشبي المزخرف. أما إن كان المدخل يستخدم أيضاً للحيوانات، خصوصاً إذا لم يكن للمنزل جزء خاص بالحيوانات، فإن الباب يكون واسعاً في العرض والارتفاع، بحيث يسمح بدخول الإبل، وكانت في الماضي تُدخل في البيوت.

الرواق: يمتد قسم العائلة أو السيب أو الدهليز مسافة طويلة، مقارنة بقسم الرجال. فهو يربط جميع الغرف تقريباً بممر مسقوف عرضه حوالي ١,٥م، ويتصل أحياناً بمدخل النساء. وللرواق دور رئيسي في تخفيض درجة حرارة المنزل، باعتراضه لأشعة الشمس المباشرة المتجهة إلى الغرف المحيطة بالفناء، وتخفيف أشعتها القوية، وكذلك استقبال الهواء من الفناء. ويستعمل الرواق أيضاً لأغراض متنوعة وفي أوقات مختلفة،

رواق أحد المنازل التقليدية في الدورين – حوطة بني تميم وتظهر المثاعب الموجهة نحو الفناء

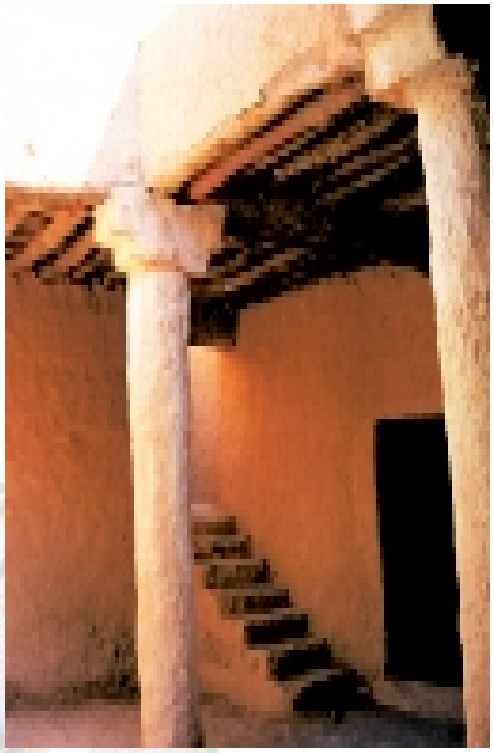

الرواق في الدور الأول كما يظهر الدرج المؤدي إلى السطح

كلعب الأطفال والجلوس وتناول الشاي والقهوة، صباحاً وعصراً.

الحوش: يحتوي كل مسكن تقريباً على فناء (حوش)، أو بطن الحوي العائلي، وهو يشكّل القلب الحيوي للمنزل من حيث الموقع والوظيفة، ويستخدم على مدار السنة. ومن أهم وظائفه تزويد غرف المنزل بالهواء المنعش البارد عبر الردهة والرواق، وتخفيض درجة الحرارة بها، وإدخال الإضاءة الطبيعية، ومن ثم تحقيق أمن سكان المنزل وخصوصيتهم. وللحوش أدوار مهمة ومتعددة تشمل الأنشطة الاجتماعية والعائلية المختلفة، من حفلات زواج وأعياد ومناسبات. وهو ساحة لعب للأطفال، ومكان حركة وجلوس ونوم في الصيف، وكذلك مكان طبخ وإعداد للولائم الكبيرة. كما يبعث الحوش الانشراح النفسي نظراً لانفتاحه الواسع إلى السماء والأفق.

وتُطل أكثر الغرف العائلية في كل الأدوار على الفناء بأبواب وشبابيك كبيرة، لتستفيد من الطقس اللطيف وتوفر الخصوصية.

القبة: تُعد القبة من أكثر أماكن المسكن استعمالاً وتسمى في بعض المناطق بالمصباح، وهي توازي في الوقت الحاضر صالة جلوس العائلة. وهي غرفة كبيرة ذات سقف مرتفع، ويكون جانبها المطل على الحوش مفتوحاً كله. وكذلك تفتح عليها بعض أبواب الغرف والممرات والشبابيك، لذا فهي تحصل على قدر كبير من الإضاءة والتهوية. وينطلق منها الدرج الذي يقود إلى الطوابق العلوية والخلوة. وتحتوي القبة على وجار عائلي لتحضير المشروبات، كالحليب والشاي والقهوة، وكذلك توجد بها أماكن لتبريد الماء في الزير أو في القربة التي يُحفظ

تحتها وحولها بعض الخضراوات والفواكه. وغالباً ما توضع وسائل التبريد باتجاه مهب تيار الهواء القادم من الحوش.

غرف النوم الأرضية: ثمة غرفة نوم أو غرفتان على الأكثر في الدور الأرضي، لاستخدام الأقارب أو كبار السن من العائلة. بينما تكون غرف النوم الرئيسية في الدور الأول.

المطبخ: يكون المطبخ غالباً في موقع منفصل عن غرف الدور الأرضي بمسافة كافية، لتفادي وصول الدخان الناتج عن إيقاد الحطب إلى داخل المنزل. ويمتاز

مطبخ بأحد المنازل النجدية التقليدية

المطبخ بارتفاع سقفه، وكثرة فتحاته لأغراض التهوية. وبعض المطابخ يكون لها نبر (فتحة في السقف).

المخازن: هناك خمسة أنواع من غرف التخزين، لكل نوع منها اسم خاص به. فالنوع الأول الخاص بتخزين التمر يسمى الجِصّة، وهي غرفة صغيرة ليس لها أبواب، وتُبنى من الفروش والحصى، وهي أحجار كبيرة لا يزيد سمكها عن ٥سم تقريباً، وللجصة فتحة صغيرة من الجهة الأمامية على ارتفاع ١,٥٠م من مستوى أرضية الغرفة، ومقاساتها حوالي ٦٠سم × ٩٠سم. ويُكدس التمر (سقمة العام) داخل الجصّة، وعن طريق هذه الفتحة يؤخذ التمر حسب الحاجة. أما أسفل الجصة فهناك فتحتان صغيرتان، أو فتحات تسمى المكاحل، والهدف منها تصريف السائل (الدبس) الناتج عن التمر المكدس إلى خارج الغرفة. وقد طورت الجصَّة نتيجة إدراك السُكان ضرورة وجود مكان لتخزين أهم مصدر غذاء لهم في تلك المنطقة. فمن الصعب توافر التمر في الأسواق طوال العام، لأن محصول التمر موسمي. لذا يتم تخزين ما يكفي لمؤونة عام كامل في تلك الجصة أو الحوض.

ويوضع أيضاً تحت صنبور الجصة حوض صغير يسمى المدبسة، لجمع

الدبس منه ووضعه في علب خاصة. ويستخرج الدبس عن طريق رش بعض الماء وإضافة قليل من الملح على التمر ووضع فرش ثقيل (نوع من الصخور المسطحة والملساء)، فوق التمر لضغطه وإسالة الدبس منه. يحدث ذلك إذا كان التمر قليل الرطوبة. أما إذا كان التمر رطباً جيداً فلا يحتاج إلى ذلك. أما الملح فإنه يضاف إلى الماء ويرش به التمر منعاً للتسوس وظهور الديدان (السراوة) فيه. ويجمع الدبس الخارج من الجصّة في أوان خاصة، وقد يضاف إليه الدقيق لعمل الكليجا، وهي نوع من المعجنات التقليدية.

والنوع الثاني من المخازن خاص بتخزين غذاء موسمي آخر هو القمح، ويُسمى الصوبة أو الحيضان جمع حوض. وتكون الصوبة غالباً في الخلوة (الدور تحت الأرضي) أو في الصفة في الدور الأول. وتبنى من الطين والحجر وتغطى بطبقة سميكة من الجبس من الداخل والخارج. وتحتوي أرضية الصوبه على عدة أحواض يُحفظ بداخلها القمح والبر (الطحين) الذي يحفظ داخل أكياس أو أوان. وتختلف مقاسات الصوبة من منزل إلى آخر، حسب كمية القمح التي يتم تخزينها.

أما النوع الثالث من المخازن فهو خاص بحفظ الأطعمة الأخرى، مثل البصل واللحوم وما إلى ذلك، ويسمى القفص. ويُتخذ من عسبان (أعواد) النخل ويعمل على شكل هرم، وتربط الأعواد بعضها إلى بعض، ويكون أسفله أوسع من أعلاه. أما النوع الرابع فهو المخزن الخاص بحفظ الحطب. والنوع الخامس هو الصفة، وهي نوع من المخازن الغذائية، وكان لها دور مهم في حياة الناس، لأنهم كانوا يعتمدون على الأطعمة القابلة للتخزين على المدى البعيد، نظراً لارتفاع درجة الحرارة وعدم وجود وسائل حفظ، مثل الثلاجات أو ما شابهها في ذلك الوقت. لذا تكون الصفة بين الغرف حتى تقل نسبة مسطحها الخارجي ولا يوجد بها شبابيك، وتستمد إضاءتها من الغرف الأخرى، وذلك للحصول على أعلى درجة من البرودة. وفي هذه الغرفة أحواض لحفظ القمح والبصل والدقيق في أكياس، بينما يعلق القفر أو الوشيق أو القديد (شرائح اللحم المملحة اليابسة) على حبال.

القبو: وهو ما يعرف بالخلوة، وهي غالباً غرفة واحدة كبيرة تُشيد تحت الدور الأرضي وتتصل بالقبة عن طريق الدرج، ويصل عمقها إلى نحو مترين تقريباً.

ويرتفع جزؤها العلوي قليلاً فوق سطح الأرض لإحداث بعض الفتحات الصغيرة للتهوية والإضاءة. وهي تُستخدم في بعض أيام السنة عند ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها، لأنها تُصبح مكاناً تتوافر فيه درجة حرارة مقبولة.

الدور العلوي (الأول): يضم الدور الأول (وهو الأخير عادة) ما يسمى بالرواشن، وهي غرف نوم متنوعة المساحات، وتطل على الفناء بطريقة غير مباشرة عن طريق المصابيح. أما المصابيح فهي ممرات مسقوفة وتكون فوق السيب ولها جدار ارتفاعه ١,٥ م مُشَرَّف (تعلوه شرفات) بين الأعمدة للحماية. وتكوّن المصابيح عنصراً يربط بين غرف الدور الأول، وعرضها ١,٥ م تقريباً، وهي تحمي الغرف الواقعة عليه من ضوء الشمس وحرارتها المباشرة، وتساعد في تخفيض درجة الحرارة داخلها. وأحياناً يُغطى الدور الأول ولا يكون فيه مصابيح، بل قبة تفتحُ جهة واحدة منها باتجاه الهواء، وتطل على الفناء.

الطرمه: يبرز من قبة الدور الأول إلى الخارج، جزء يسمى الطرمة، وهو فراغ صغير يشبه المشربيات في المنطقة الغربية، ويكون مرتفعاً عن أرضية الدور العلوي بمقدار ١٢٠ سم، ليسمح بدخول الجزء الأعلى من جسم الإنسان. وتحتوي أرضية الطرمة على فتحات أفقية صغيرة للنظر إلى الشارع من دون أن يستطيع من بالخارج ملاحظة ذلك. وهذا يُمكّن المرأة من النظر إلى ما يحدث في الخارج دون أن تُرَى. وهكذا يمكن لصاحب المنزل مراقبة من يطرق بابه من غير أن يفتح الباب، إذ إن الطرمة تكون فوق الباب مباشرة. ووظيفة الطرمة في العمارة التقليدية هي نفس وظيفة العين السحرية في العمارة الحديثة.

ويتولى النجار الشعبي صنع الطرمة والتفنن في زخرفتها، وتعرف في الحجاز بالطيرمة، وفي منطقة حائل تسمى القاتوله. وفي اللُّغة الطارمة بيت من الخشب كالقبة، تعريب طارم بالفارسية.

السطح (الطايه): يتصل الطابقان الأرضي والأول (والثاني إن وجد) بالسطح عن طريق الدَرَج. ويُقسّم السطح إلى عدة أجزاء لها أبواب مفتوحة خاصة بكل جزء منها، فكأنما هي غرف نوم صيفية توفر الخصوصية لأفراد العائلة. فهناك قسم للزوجة، وآخر للبنات، وثالث للأبناء. كما أن في السطح غرفة ذات سقف خفيض تُسمى المفضوخ، تحفظ فيها فُرش النوم لحمايتها من الشمس والغبار. ويستخدم السطح أيضاً لتجفيف

سطوح أحد البيوت الكبيرة في الرياض

بعض المواد الغذائية، كالتمور والجراد والطماطم والفلفل.

وللنوم في السطح نكهة ولذة مميزة، إذ يشعر الإنسان بالراحة والهدوء وصفاء النفس والفكر حين ينظر إلى السماء الصافية في ليالي الصيف المقمرة، ويستمتع بضوء القمر وبريق النجوم المنتشرة بلا حدود في فضاء لا نهائي دالٍ على صنع الخالق القدير.

القسم الخلفي: يحتوي هذا القسم من المنزل على العناصر ذات الوظائف الضرورية، التي لها نتائج جانبية غير مرغوبة، كالصهروج (الحمام) وحظائر الحيوانات، كما يحتوي على حديقة الخضار المنزلية والبئر. وكلها تحيط بالحوش الخلفي للمنزل.

الصهريج (الصهريج): هو المكان الخاص بالوضوء والاستحمام فقط. ويتكون عادة من جزءين؛ الجزء الأول مرتبط بالمدخل، ويحتوي على قرو، وهو حوض من الحجارة المنحوتة ويكون بأشكال ومقاسات مختلفة، ويرتفع عن مستوى سطح الأرض بحوالي ٦٠سم، ويسمى بالقرو السفلي ويستخدم للوضوء. ويُستخرج الماء من القرو عن طريق فتحة صغيرة في أسفل أحد جوانبه، وتُسد هذه الفتحة بقطعة قماش أو بعظم يسمى سَدّه. أما الجزء الثاني فيتم الوصول إليه عن طريق باب داخل الجزء الأول، ويحتوي على قرو آخر بارتفاع قامة الرجل، يسمى القرو العلوي، ويستخدم للاستحمام. وتحتوي حوائط الصهروج على العديد من الأوتاد الخشبية، لتعليق الملابس أثناء الغسيل والاستحمام.

الحسو: وتعد الآبار أهم مصادر المياه، ويطلق على البئر المُستخدم في المساكن اسم حِسو أو قليب أو مسقاة. ونظراً لارتفاع تكلفة حفر الحسو، وضرورة وجوده بكل مسكن، فقد يشترك أكثر من منزل في حسو واحد؛ وعندئذ يتم اختيار موقعه في مكان يسهل على جميع العائلات المشتركة فيه الوصول إليه، من دون الحاجة إلى الخروج إلى الشوارع العامة. ولبعض بيوت المقتدرين آبار خاصة بها. وفي بعض البيوت تحفر

قرو ماء للعابرين والجيران

البئر بجوار الشارع، ويجعل منها فرغ خارجي ليستفيد منه العابرون أو الجيران. ويتطلب ذلك تأمين أكثر من قرو لشرب البهائم والوضوء والاستحمام، ويسمى مكان الاستحمام المسبّح.

ومن فوائد الحسو المشترك تقوية الروابط الاجتماعية بين الجيران، وإيجاد أماكن شبه خاصة تربط بين العائلات، خاصة النساء، إذ يساعد بعضهن بعضاً في الحصول على الماء. ويتبع ذلك أنشطة أخرى مثل التحدث والجلوس وتناول القهوة والشاي.

البرج: ويطلق على المرحاض في المساكن التقليدية اسم بِرْج أو موسَّعْ. وهو غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها متراً مربعاً. وتكون مرتفعة عن مستوى سطح أرضية المنزل بحوالي ٦٠سم إلى ١٠٠سم. ويكون الدخول إلى المرحاض عن طريق بضع درجات، ولا يوجد داخل هذه الغرفة سوى فتحة صغيرة دائرية الشكل لا يتجاوز قطرها ٢٠سم في وسط أرضية الغرفة، تقضى فيها الحاجة. ويتم تنظيف الفضلات عن طريق فتحة صغيرة في أحد حوائط الغرفة. ويؤدي هذا العمل أشخاص معينون، وتُسمد أشجار النخيل والمزروعات بهذه الفضلات.

ولا توجد أبواب على مداخل المراحيض، ولا تفتح مباشرة على الحوش، بل يكون المدخل غير مباشر بتوجيهه نحو أحد الحوائط القريبة منه، أو يوضع حائط خاص بذلك. ولا يتوافر الماء غالباً للاستنجاء، بل يُعتمد على الاستجمار. والمراحيض عادة في الأحواش، خاصة أحواش الحيوانات إن وجدت. والهدف من ذلك هو إبعاد المراحيض عن أماكن الأنشطة الأخرى بسبب الروائح التي تصدر عنها خاصة في فصل الصيف، بالإضافة إلى الاعتقاد

السائد بأن المراحيض أماكن للشياطين. لذا تُتلى عادة بعض الدعوات قبل دخول المرحاض وبعد الخروج منه كما ورد في السنة النبوية الشريفة. وأغلبية المساكن لا يكون فيها سوى مرحاض واحد في الطابق الأرضي، إلا أن بعض المساكن قد يكون بها مرحاض آخر في الطابق الأول، ويكون في هذه الحالة فوق مرحاض الطابق الأرضي غالباً، وذلك لاستخدام مكان تجميع الفضلات نفسه.

البلاعه: ويمتد من كل بيت أنبوب أو مجرى من الصهروج أو المغسل إلى حفرة خارجية بالشارع، مربعة أو مستطيلة أبعادها حوالي ٣,٥م × ٢,٢٥م وبعمق يتراوح من ١,٥-٢م تسمى بلاّعه. وتشيد جدرانها من الحجر لتبطينها من الداخل بالطين والجص، كما يغطى أعلاها بجذوع قوية من أشجار الطرفاء وأشجار النخيل. وقد أصبح هذا الغطاء مؤخراً يشيد من الخرسانة. ولم يكن هناك نظام للصرف الصحي لنقل الفضلات، بل إنها تتحلل داخل البالوعات.

الحظائر: ويشكل وجود الحيوان جزءاً مهماً من حياة الإنسان في البيئة السكنية التقليدية، لأنّه يمده ببعض المنتجات الغذائية الأساسية كاللحوم والحليب واللبن والزبدة والجبن والبيض. كما تُستخدم بعض الحيوانات كالحمير والإبل للنقل، ويستفاد من مخلفاتها في تسميد الأرض لزراعة الخضار والفواكه المنزلية. وهي لا تخلو من دور ترفيهي للسكان، خاصة الأطفال الذين يسعدون باللعب معها، ويشاركون في تربية صغارها. لذا يخصص جزء يتراوح بين ٢٠-٣٥ في المائة من مساحة المسكن الكلية يكون حظيرة للحيوانات والدواجن. ويكون هذا الجزء خلف المنزل بجانب الصهروج وخزانات المياه والحديقة.

حوش للماشية داخل أحد البيوت التقليدية

وتبنى حظائر الحيوانات وأقنان الدواجن وعششها عادة من سعف النخيل وتظلل بالأشجار أو بأسقف منخفضة، بينما يُعمل للدجاج شرشح، وهو مسطح مرتفع عن الأرض تقضي فيه الليل ويحميها من وصول القطط إليها وافتراسها. كما تُعمل أبراج للحمام في السطح وغالباً ما تكون فتحاتها في عرض الجدار، وتسمى مخافق في بعض مناطق المملكة، وأحياناً تكون في حوش الحيوانات داخل شبك كبير.

العناصر المعمارية والفنية. كانت النقوش والزخارف تتم إما باستخدام الأشكال الهندسية الأساسية، مثل المثلث والمربع والدائرة، أو بالرمز للهلال والنجوم، أو الأشجار المحلية مثل النخيل. لذا نجد أن النقوش متأثرة بشكل واضح ببيئتها المعبرة عنها. ومن الزخارف الشائعة في المباني التقليدية في المنطقة الوسطى الشرفات، وهي نقوش توضع في أعلى الجدران، سواء أكانت خارجية أم داخلية. وبالإضافة إلى أغراضها الزخرفية يرى بعض الناس أنها تساعد في توجيه التيارات الهوائية الساخنة إلى أعلى، ومن ثم تؤدي إلى تخفيف حدة الضغوط الحرارية داخل المبنى (الخولي ١٩٧٧: ٥٢). وتتخذ الشرفات أشكالاً

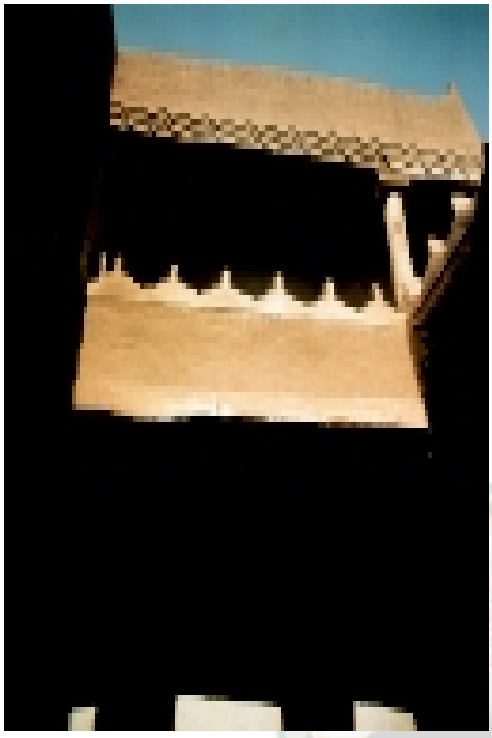

شرفات داخلية وميازيب (حدايد) على واجهة البيت الداخلية

عديدة، منها الخطوط المستقيمة، وتأخذ شكل زوايا حادة أو قائمة أو منفرجة، والشرفات القوسية ذات الخطوط المنحنية (المفصصة)، وتلك التي تحاكي أوراق النباتات، والشرفات التي تشبه أهراماً مدرجة. ويطلق على بعض الشرفات النباتية والهندسية التي تأخذ شكل السهم اسم الزرانيق.

وإذا كانت الشرفات تمثل أعلى أنواع الزخارف المعمارية ارتفاعاً، فإن الميازيب (مفردها ميزاب) تليها من حيث مستوى

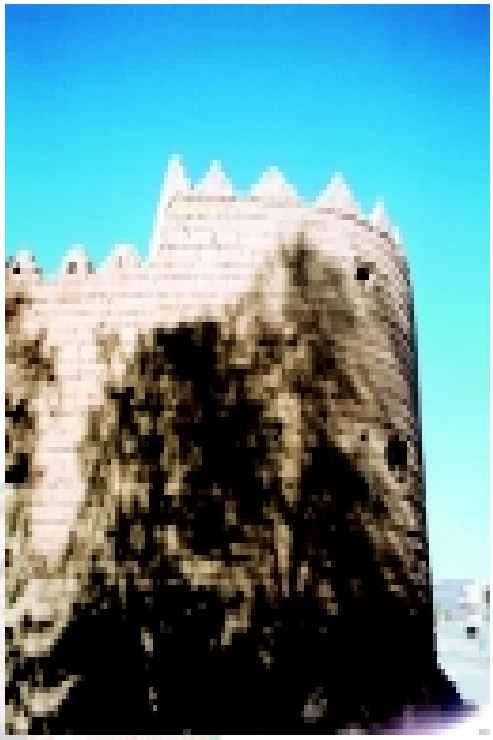

شرفات خارجية على الأسوار أيضاً مع فرجة في وسطها ربما لإطلاق النار منها

ارتفاعها. وتظهر الميازيب أو (المزاريب، مفردها مزراب)، على واجهات المباني –سواء الداخلية أو الخارجية، وتتخذ خطاً أفقياً، وهي مثلثات متساوية الأضلاع متلاصقة، رؤوسها إلى الأسفل وقاعدتها إلى الأعلى. وهي تسمى حدايد وتُعمل كحلية خارج المنزل، وعلى مستوى سقف الدور الثاني.

كما تُستخدم مواد مختلفة، مثل الجص والخشب، لتُنقش منها تصاميم جميلة على الجدران الداخلية والخارجية.

حدايد جميلة وفوقها فرج نظمت بشكل مثلث جميل

ويكثر استخدام الجص في النقش، إذ يشاهد الجص عادة في الأجزاء العليا من الجدران الخارجية على شكل زخارف. وتنحت التصاميم المنقوشة في الأجزاء السفلية من الجدران على نمط متكرر عادة. وتضاف الزينة في الغرف بأشكال مختلفة، كفتحات من أعمال شبكية وأرفف ونوافذ وأبواب وتصاميم متصلة في الجدران. وتكون أعمال الزينة إما مسبَّقة الصب، ومن ثم توضع في الموقع مثل الكمار، أو يتم نقشها مباشرة على الجدران والأبواب بواسطة بنائين مختصين أو حرفيين.

وتُحلى الأبواب والنوافذ بنقوش من الزخارف العربية التي تُستخدم مع الألوان الحمراء والسوداء والزرقاء والصفراء والبنية. وتعد الأعمال الفنية في الخشب ذات قيمة عالية بسبب ندرة الأخشاب.

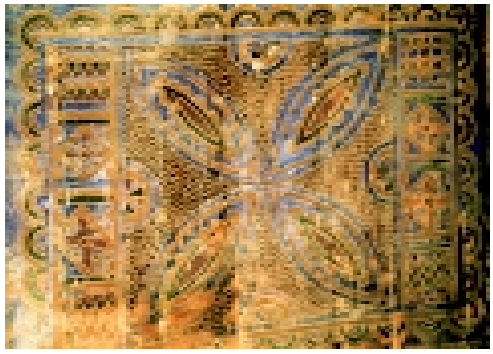

زخرفة الباب الخشبي

كما يضيف المزلاج أيضاً مظهراً فريداً إلى مظهر الباب. وتعكس التصاميم الزخرفية ذوق البيئة المحلية للأشكال الهندسية المتنوعة، ويمكن تقسيم الزخارف في العمارة التقليدية إلى زخارف طينية، وأخرى جصية.

يبدأ عمل الزخرفة الطينية بعد بناء البيت، إذ توضع طبقة من الطين المعد لطلاء الجدار الخارجي بسمك يتراوح ما بين ٢ إلى ٤سم، ثم يوزع هذا الطلاء بالأصابع، أو بقطعة خشب، أو بمشط

الزخرفة الطينية للجدار الخارجية – الرياض

طلاء الجدار الخارجي بخطوط منكسرة

خشبي. وقد يأخذ هذا التوزيع شكل أقواس أو خطوط منكسرة.

وتُستخدم الزخارف الجصية لما يتميز به الجص من مزايا متعددة، منها عكس الحرارة والضوء، فضلاً عن توافره في البيئة المحلية. وكما يُستخدم الجص في تزيين جوانب النوافذ، يستخدم أيضاً في تزيين المساحات المعمارية في الأفنية، مثل إطارات جدران الغرف الداخلية، وإطارات الأبواب والنوافذ. وبسبب عدم صلابة الجص، إذ يمكن حفره وعمل أشكال زخرفية متنوعة عليه، تشغل إطارات

زخرفة علوية بالكمار

النوافذ والكوات الداخلية والأبواب الخارجية والداخلية. وتتمثل العناصر الزخرفية الجصية في الوحدات النباتية كأوراق الأشجار والأزهار، أو الأشكال الهندسية، أو الجمع بين الأشكال النباتية والهندسية في شكل واحد. وأحياناً تحفر دوائر في الجدران المكسوة بالجص، وتحشى هذه الدوائر بحشوات زخرفية ذات صبغة نباتية أو هندسية.

وتوضع الطرمات فوق المداخل الرئيسية للمبنى، وهي تجويف يمثل بعض الأشكال الهندسية، كنصف الدائرة أو المربع أو المستطيل، وتتخذ من الخشب أو من الجص، ويُجعل سطحها المحدب نحو الخارج، ويكون بها ثقوب يمكن من خلالها مراقبة الشارع أو المدخل كما تقدم.

ومن المألوف أن تكون ثقوب الطرمة منظمة بطريقة هندسية. أما الأبراج فتبنى على واجهاتها المصاليت أو السقاطات.

ولهذه المصاليت وظيفتان؛ إحداهما مراقبة الأعداء، والثانية رمي العدو بالنار، أو صب الماء والزيت الحار أو القار عليه.

وتستخدم الأساطين (جمع أسطوانة) والتيجان في مداخل البيوت. والتيجان هي القطع الحجرية المشكلة بإتقان، وترتكز على الأساطين. وتعد الأساطين والتيجان من العناصر المعمارية المهمة التي تزدان بها المداخل الرئيسية للبيوت، أو الواجهات الداخلية المطلة على الفناء الداخلي.

ويصنع الأساطين والتيجان صانع مختص، ويجعلها على أنواع وأشكال هندسية مختلفة، إما من قطعة حجرية واحدة أو من عدة قطع.

وإلى جانب الفراغات المنزلية الخاصة، هناك الفراغات شبه الخاصة والعامة، التي توفرها الطرق والساحات والقباب. فالقباب (الأجزاء المغطاة من الشوارع أو الطرق غير النافذة) تسمى

الأساطين والتيجان وكيفية دعمها للسقوف

ساحة في عنيزة وخلفها شارع عليه قبه

شارع ضيق عليه قبة في المجمعة

المجابيب، وتوفر نوعاً آخر من تركيب الحيز الفراغي الاجتماعي. وتتشكل القبة عادة من امتداد غطاء عبر الشارع على مستوى الطابق الأول، بين مبنيين متجاورين. وتقع أكبر القباب عادة في جزء من شارع عريض، وتستخدم مضماراً لألعاب الشباب دون سن العشرين في المنطقة. فهي توفر لهم الظل والمكان المريح للجلوس، وتتيح لهم الفرصة للعب ورواية القصص وتبادل الدعابات. وهنالك أيضاً قباب متوسطة الحجم في الأجزاء المغطاة من الشوارع الضيقة أو الطرق غير النافذة، تستخدم مكاناً مشتركاً شبه عام من قبل مجموعة صغيرة من الجيران، تتراوح بين ثلاثة إلى أربعة مساكن. وفيها يلعب الأطفال، ويلتقي كبار السن والنساء من الجيران. ويتيح هذا المضمار المشترك الفرصة للعب الأطفال ولقاء العائلات، مع إمكانية إشرافهم على نشاطات الأطفال. أما أصغر القباب فتقع داخل المنزل، وهي عبارة عن فراغ واسع مفتوح على ساحة المنزل، ويستخدم عادة غرفة للعائلة ومكاناً للمعيشة، خاصة في فصل الصيف.

كما يُعد الحبوس، وهو بناء من الطين مكسو بالجص، مكاناً مشمساً جذاباً لكبار السن، يسترخون تحته ويتسامرون. وقد تكون الجلسات فيما يسمى بالعاير، وهو ساحة صغيرة قرب ركن المنزل الخارجي. والحبوس أماكن ذات وظائف اجتماعية وهي متاحة للاستخدام العام، وتشمل أماكن للجلوس تكون عادة في منطقة السوق، وفي مواقع أخرى داخل المناطق السكنية، ويقع بعضها بالقرب من مداخل المنازل وفي أركان الشوارع.